محمد علي ابشر

الصحابي الجليل

المقداد

ابن الأسود

دار الأصالة

الصحابي الجليل
المقداد بن الأسود الكندي

الصحابي الجليل
المقداد بن الأسود الكندي

فارس رسول الله (ص)

دار الأصالة
للطباعة والنشر
ص.ب ٨١٨٢ بيروت لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

قالوا في المقداد
كلمات مسلسلة
من ضياء الملأ الأعلى

قال رسول الله (ص): إنَّ الجنة تشتاق إلى أربعة: علي، وسلمان، والمقداد، وأبي ذر. «متفق عليه».

وقال: إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يُحبهم: علي، وسلمان، والمقداد، وأبي ذر. «متفق عليه».

وقال: لم يكن نبي إلا أُعْطِيَ سبعةً نجباء وزراء ورفقاء، وإني أُعطيت أربعة عَشَر، عَدَّ منهم المقداد. «متفق عليه».

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: ضاقت الأرض بسبعة، بهم تُرزقون، وبهم تُنصرون، وبهم تُمطرون، وعَدَّ منهم المقداد.

الطوسي: أخبار معرفة الرجال، ص (٦ و٧)

وقال حفيد رسول الله الإمام محمد الباقر (ع): ارتد الناس (أي يوم غيبة الرسول) إلاَّ ثلاثة، عَدَّ منهم المقداد.

المصدر السابق: صفحة (١١)

وقال الإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر (ع): انزلوا داؤود

البرقي مني، بمنزلة المقداد من رسول الله.

المصدر السابق، صفحة (٤٠٢)

وقال الإمام موسى بن جعفر الصادق (ع): إذا كان يوم القيامة، نادى منادٍ: أين حواري رسول الله؟؟ فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر.

المصدر السابق، صفحة (٩).

وقال ابن سعد في الطبقات، المجلد الثالث، صفحة (١٦٢)، وابن حجر العسقلاني في الإصابة، جزء (٣)، ص (٤٥٤) قالا: المقداد أولُ من قاتل على فرس في سبيل الله.

وقال صاحب الوسائل: المقداد، ويكنّى أبا معبد، ثاني الأركان الأربعة، قاله الشيخ والعلامة، وهو عظيم القدر، شريفُ المنزلة جَليلٌ، من خواص علي.

الحر العاملي: الوسائل، الجزء العشرين من المجلد التاسع، ص (٣٥٣)

وقال أصحاب منجد الأسماء: المقداد بن الأسود صحابيٌّ من الأبطال، لُقِّب «حِبُّ الله، وحبّ رسوله».

«منجد الأسماء: مادة مقداد»

وقال ابن عبد البر القُرطبي في كتابه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الجزء الثالث، بهامش كتاب الإصابة، ص (٤٧٢): المقداد من الفضلاء، النجباء، الكبار، الخيار، من أصحاب النبي.

وقال ابن مسعود: «أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة منهم

المقداد، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله، ومناقبه كثيرة».

ابن الأثير: أسد الغابة، الجزء الرابع، ص (٤١٠ و٤١١)، طبع مصر، ١٢٨٦هـ.

وَسَمِع رسول الله (ص) رجلاً يرفع صوته بالقرآن، فقال: أوَّاب. فنظرنا، فإذا هو المقداد.

الاستيعاب: صفحة (٤٧٥)، المجلد الثالث بهامش الإصابة

قال رسول الله (ص): إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يُحبهم

قيل: يا رسول الله!! فَسَمِّهِمْ لنا.

قال: عليٌّ منهم، يقول ذلك ثلاثاً، وأبو ذر والمقداد وسلمان.

ابن الأثير: أسد الغابة، جـ ٤، ص ٤١٠ و٤١١، ط. مصر ١٢٨٦هـ.

وابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، جـ ١٠، ص ٢٨٥، ط. أولى - الهند ١٣٢٧هـ.

وابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب م ٣، ص ٤٧٥، بهامش الإصابة.

المقـدّمـة

المقداد وجه بشري... وروح ملائكي...

وما من أحدٍ يقرأ كلمات الرسول فيه...

ما من أحد يقرأ حياة الجهاد التي رأى فيها قدره الحبيب...

وعاشها لإسعاد الناس بشريعة الإسلام...

منذ كان ابن ثلاثين حتى صار ابن سبعين...

إلاّ وتأخذه هِزّة إجلالٍ، وحبٌّ، وإعجاب. لهذه الشخصية الفضلى... التي يضمها التراث الإسلامي في قلبه جوهرةً مضيئةً خالدة...

ومع تلك المرتبة السَنِيَّةِ التي يحتلُّها المقداد في تاريخ الإسلام، فإننا نرى كتاباتِ المؤرخين عنه تكاد تكون وَمْضاً خاطفاً...

تُرى، هل كان سَبَبُ ذلك لأنه عَلَوِيُّ النهج والهوى...؟؟

أم سَبَبُه: أن المؤرخين في أكثريتهم دَرَجوا على أن يضعوا أقلامهم جُنداً في دولة الحكام والأمراء...

أم لأنه لم يتولَّ إمارة...

فالمقداد، أقسم للرسول (ص): إنه لا يتولّى إمارة... خَشْيَةَ أن تُسَوِّلَ له نفسه أنه أَرْفَعُ ممن يَليهم شَأْناً[1].

نحن نتساءل، ولا نحكم...

فقد يكون السَّبَبُ هذه الأمور مجتمعة، وقد يكونُ لا هذا، ولا ذاك...

الواقع، أنَّ ما كتبه المؤرخون عنه نَزْرٌ يسير...

وقد جَعَلَنا هذا نواجه مَشَقَّةً كبرى، حينَ بَدأنا نُهَيِّءُ للكتابة عنه...

ثم طَلَعَ علينا مَشَقَّةٌ ثانيةٌ هي: تضاربُ الروايات عنه... وقد ذَلَّلْنا هذه المشقة بأن أخذنا من الروايات ما ينسجم مع سيرة المقداد، وعقله ـ ذلك العقل المصباح الذي جَعَلَهُ سَابعَ رجلٍ يعتنق الإسلام...

وعندما فَرَضَ علينا الاستقصاءُ عن بطولات المقداد، أَنْ نَعْرِضَ أَهَمَّ الغزوات التي بَرَز فيها، فوجئنا، بمشقَّةٍ ثالثةٍ أكثر تعقيداً...

ذلك، لأن الرواية الواحدة، تَرِد أحياناً على أوجهٍ متعددة...، كُلٌّ منها يناقض الآخر... أو يكذبه...

وقد لجأنا في هذه الحالات إلى أخذ رواية الثقات الذين تَتَّسِقُ أخبارهم مع نَفْسِيَّةِ أَحْدَاثِ المعركة، كما يُسَوِّغُها النقد التاريخي الحديث بكل أبعاده...

---

(١) وكان المقداد لا يصلي ـ أي إماماً ـ بالناس خوفاً من أن يخطر له أنه أفضل من المأمومين، فيأثم...

أما عندما يكون للرسول (ص) قولٌ مّا. . . فَإنَّ ما يُوحي به قولُ الرسول (ص) هو الذي اعتمدناه اعتماداً قاطعاً. . .

فَمَثَلاً، جاء في رواية أن الذين حاموا عن الرسول (ص)، في غزوة أُحد ثلاثة: علي بن أبي طالب، وأبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف. . .

بينما تقول رواية ثانية: إنهم أربعة عشر. . .

كُلٌّ واحدةٍ من هاتين الروايتين تدفع بالأخرى. . .
ولكنَّ بينهما قاسماً مشتركاً هو: الدفاع عن رسول الله (ص). .

إذن، فالدفاع عن الرسول (ص) لا خلاف عليه. . .
وإنما الخلاف على العدد. . .
فبأيٍّ الروايتين نأخذ؟؟

قد تَتَطاول الرواية الثانية أمامنا شَائِلَةً برأسها وكأنها تقول: خذوا بي. . .[1].

ولكنَّ بضع كلمات نسمعها من الرسول تُسقطها دُفعة واحدة. . .

يقول علي بن أبي طالب (ع) لزوجه فاطمة بنت رسول الله (ص)، بعد الرجوع من «أحد» إلى المدينة: اغسلي هذا السيف من الدماء، فوالله، لقد صدقني اليوم. . .

فيقول له رسول الله (ص): إن كان صدقك، فلقد صدق معك، أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف. .

---

(١) لا سيما وبين أفرادها الأبطال الثلاثة المذكورون في الرواية الأولى.

فَهَلْ يُمكن، أن نرى أحداً، بعد هذا القول النبوي، يرتاب، في أن الذين دافعوا عن الرسول (ص) كانوا ثلاثة، كما جاء في الرواية الأولى؟؟[٢].

وهنـاك، رواياتٌ قليلة، أغفلنـاها... لأنهـا لا تثبت أمام النقد، علميًّا كان، أو عقلانياً، أو عقائدياً، وإننا لَنَجْزِمُ، أن هذه الروايات، لم تكن لولا سيطرة الحكم القريشي الخاضع للعصبية القبلية...

على هذا الأساس المُمَحَّص، المنفلت من وِثاق الجمود... نُقدم: المقداد بن الأسود الكنديّ للأجيال الحاضرة والقادمة:

سَيْفَ جِهَادٍ أَحْمر الجلباب...
وشُعْلَةً عَقائديَّة...
وَمَلَكاً نورانيًّا، يَغْتَبِطُ به الفردوسُ الأَرْفَع...

سوريا ـ جبلة　　　　محمد علي اسبر

---

(٢) روى يحيى بن سلمة بن كهيل، قال: قلت لأبي: كم ثبت مع رسول الله يوم أحد؟؟ قال: إثنان. قلت: من هما؟؟. قال: علي وأبو دجانة (راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ـ المجلد الثالث ـ الجزء (١٦، ١٧) صفحة (٤٢١)، طبع دار الفكر ـ بيروت ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م.

الفصل الأول

المقداد بن الأسود

٣٧ق. هـ. - ٣٣هـ.
٥٨٧ - ٦٥٥م

نسب المقداد:

هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة، بن ربيعة، بنْ ثمامة، بن مطرود، بن عمرو، بن سعد، بن ثور، بن ثعلبة، بن مالك، بن هزل، بن قابس، بن رويم، بن القين، بن الهون، بن بهراء، بن عمرو، بن لحاف، بن قضاعة، ويكَنَّى: أبا معبد، حليف بني زهرة، المعروف، بالمقداد بن الأسود، نسبةً إلى الأسود، بن عبد يغوث، بن وهب، بن عبد مناف، بن زهرة... لأنه تبنَّاه[1]...

ولادته:

يصيب والده، عمرو بن ثعلبة دماً في قومه اليمن... فيلحق «بحضرموت»، ويحالف قبيلة «كندة»، فكان يقال له «الكندي» ويتزوج منها امرأة حُرَّةَ الفضائل، فتلد له المقداد عام «٣٧» قبل الهجرة المحمدية[2]...

(١) كتاب الطبقات: الأزدي - القسم الأول، ص /٣٧/ ط. وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٦.
(٢) هذا التاريخ على أساس أنه عاش سبعين عاماً كما يروي أكثر المؤرخين.

نشــأته:

وفي أحضان «حضرموت»(١) ذات الجبال السامقة، والوديان السحيقة، والخضرة الصافية، والمناخ الحار، ينشـأ المقداد، قويَّ البنية، صلب الساعد... وعندما يستـوي يافعـاً، ينبت خلاف بينه، وبين أبي شمر بن حجر الكندي... وعلى أثر ذلك الخلاف، وسعياً وراء حَدْسٍ غامضٍ يحتفظ به سرًا حميماً لديه، منذ حين... يجيء والديه، فيخلو بهما طويلاً، وفي هذه الخلوة، يدور حوار هادىء، ينتهي باتفاق الأسرة على أمر، تدفنه نجوى في خبايا الصدور...

هجرة المقداد إلى مكة:

ثم يمضي المقداد بعد ذلك إلى مكة، يتحدّى المصاعب الوعرة، المضنية..؛ ولكن، لماذا اختار مكة على كثرة القبائل التي سوف يتجاوزها، وكلها تفتح للفتى القضاعي مضاربها إذا أراد؟؟؟

هل كان على موعدٍ مع الرسالة المحمدية، شأنَ سلمان، وأبي ذر...؟؟؟

لنمسك القلم عن إصدار حكم ما...، وَلْنتمهلْ قليـلاً،

---

(١) حضرموت: منطقة جنوبي شبه الجزيرة العربية، على خليج عدن، وبحر عمـان (اليمن الشعبي الآن)، تتألف أرضهـا من سهل سـاحلي، وهضبة داخلية،... فيها عدة أودية، وسميت حضرموت، بـاسم (حضرمـوت بن حمير، بن يعرب، بن قحطان، راجع سفر التكوين ـ الإصحاح العاشر، الآية (٢٦).

فمجرى الأحداث، سيكشف لنا عن الغاية التي اختار من أجلها مكة . . .

في مكة ـ صفة المقداد:

وفي ضحى يومٍ يتوقد فيه الهجير سعيراً، تُبصر مكة شاباً غريباً، فارعَ القامة، فاتحَ السمرة، أعينَ، مقرونَ الحاجبين، أقنى،طويل الأنف، كثير شعر الرأس، يأوي إلى ظلال بيت الله الحرام، يستريح من سَفَرٍ مُجهد. . . بَيْدَ أنه لا يكاد يتنسم أَرَجَ الراحة حتى يأخذه نوم عميق، يستيقظ منه قبل غروب الشمس. . .

ويجلس هنيهة ينظر حوله، ثم تمتد يده برفقٍ إلى جرابٍ يتأبطه، فيفتحه. . ويتناول منه حباتٍ من التمر، يُسكت بها جوعه اللّافح. . . ثم يقوم، فينتهي إلى زمزم، فيتناول بيديه غرفة من الماء يشربها عَبًّا. . . وينطلق، بعدها يتجول في هذا العالم الجديد الذي لا عهد له به من قبل.

ويدور في مكة يتفحص كل ما تقع عليه عيناه النابهتان.
فيراها تتوهج بحركة تجارية صاخبة[1] . . .
هنا حوانيت ضاقت سَعَتُها بالبضائع الشامية الفاخرة. . .

---

(١) كانت «مكة» مُلتقى القوافل التجارية إلى: اليمن، والحيرة، والشام، وكانت تتصل بتجارة العالم عن طريق البحر الأحمر القريب منها، وتقع مكة على الدرجة (٢١ ـ ٢٨) من العرض الشمالي، وعلى الدرجة (٣٧ و٥٤) من الطول الشرقي وترتفع عن سطح البحر نحو (٢٧٩) متراً، وموقعها وسط العالم (أي أنها مركز اليابسة في الكرة الأرضية (مجلة الفيصل، عدد تموز ١٩٧٧، ص (٣٥).

وهناك حوانيت تعمرها البضائع اليمنية الزاهية[1]...

وأخرى فيها من بضائع الحبشة.. و... و... ويعلم أن هاشم بن عبد مناف جد الرسول، وبطل الإيلاف[2] هو الذي قاد لقريش هذه النعم...

ويشاهد مخازن لبيع الخمور... ومكاتب للمعاملات الجمركية... وأمكنة للمضاربات النقدية...

ويرى وفوداً كثيرة، تنصبُّ جداولَ في تلك الأسواق، فمنهم من جاء ليتفرج... ومنهم من جاء يشتري...

---

(١) راجع أسواق العرب في الجاهلية· سعيد الأفغاني. وراجع، النظم الإسلامية: المستشرق الفرنسي، غود فروا، ترجمة، د. فيصل السامر...

(٢) الإلاف، والإيلاف: العهد. يقول أبو هلال العسكري: كانت قريش تجاراً، وكانت تجارتهم لا تعدو مكة وما حولها، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام فنزل بقيصر، وكان يذبح كل يوم شاة، ويصنع جفنةً ثريد ويدعو من حوله، وكان من أتم الناس وأجملهم، فذكر ذلك لقيصر، فأحضره، فلما رآه استجهره (أي استعظمه) وكلمه فأعجب به، فلما رأى مكانه عنده قال: أيها الملك. إن قومي تجار العرب، فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً تؤمنهم، فيقدمون عليك بما تستظرف من أمتعة الحجاز فتكون أرخص لكم، فكتب كتاب أمان لمن يُقبل، فخرج هاشم به، فكلما مَرَّ بحيٍّ من العرب أخذ من أشرافهم، إلافاً (عهداً) حتى قدم مكة، فأتاهم بأعظم شيء أتوا به قط بركةً، فخرجوا بتجارة عظيمة، وخرج معهم هاشم يجوزهم، ويوفيهم إلافهم حتى ورد بهم الشام، وفي ذلك يقول قائلهم:

تَحَمَّلَ هاشم ما ضاق عنه وأعيا أن يقوم به ابن فيض

ثم خرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن، فأخذ من ملوكهم عهداً لمن اتجر إليهم من قريش، (راجع، أبو هلال العسكري: الأوائل ـ القسم الأول صفحة (١٨ و١٩) طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٥).

ويرى سوقاً، أطلقوا عليها اسم «سوق النخاسة» ـ في هذه السوق يباع العبيد والجواري، الذين جلبهم التجار من: الحبشة، والروم، وفارس...

ويرى أثرياء مكة، يأتون تلك السوق، يُصغون إلى نداء تجار الرقيق... ثم يتقدم أحدهم فيجسُّ بعينيه، ويده، البضاعة الآدمية، فإذا شاهد ما يرضي رغائبه، نقد التاجر الثمن الذي يتم الاتفاق عليه... ثم يعود إلى داره، ومعه صيده الذلول...

وعند المساء، يرى الرجال يقصدون نوادي الميسر... يقضون فيها الليل مقامرين...

ويرى عمراناً فخماً، يرى الدور مؤلفةً من: طابقين، وثلاثة، وأكثر، تحيط بها الشرفات الجميلة، المزخرفة...

ويرى الفنادق العديدة لنزول الغرباء من التجار، وغير التجار... رأى شيئاً جديداً لا تعرفه حياة البادية... ولم يَرَهُ في سوق الرابية بحضرموت(1)...

وبعد تلك الجولة الاستطلاعية، يروح إلى بيت الله الحرام، فيرقد إلى جواره...

وفي الصباح يستيقظ نشطاً باكراً، فيمضي كيومه السابق، يتمتع بمناظر هذا العالم المكي، الذي جعلته تجارته الواسعة

---

(1) كانت هذه السوق تقوم في رابية بحضرموت فتعرف أيضاً بسوق الرابية، من منتصف ذي القعدة إلى آخره من كل عام. راجع، سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام، ط. ثالثة ١٩٧٤، صفحة (٢٧٥ و٢٧٦)، وراجع المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، جزء (٢)، ص(١٦٥).

زاخراً بكل مشتهيات الحياة...

وإلى جوار البيت العتيق يعود، كلما صَبَا إلى الراحة...

ويَلْجَأ إلى جرابه، عندما تحرقه حرارة الجوع، ليخمد أُوارها بحبات قلائل من التمر...

ويجلس يوماً إلى ركنٍ في البيت الحرام يُقَلِّب فيه بصره...

ما أقبحَ ما يرى!! أصنام من حجارة، يتخذها الناس أرباباً...

هذان رجلان يسجدان أمامها؛ ياللهول المرعب!!

ويضع يده على الأرض لينهض هارباً من هذا المنظر الدنس، وإذا اثنان يأتيان، ويجلسان قريباً منه.. ويعكف الرجلان على بعضهما يتحادثان.

اتحاد قبلي:

قال أسامة: هذه هي المرة الخامسة التي أنزل فيها مكة. لأبيع، وأشتري.. ولي هنا أصدقاء من التجار السادة، أبرزهم أبو سفيان الأموي، أحد أسياد قريش...

ـ إذن، لقريش سادة كثيرون..

ـ أجل، يا أبا الليث!! إن قريشاً مؤلفة من قبائل، ولكلِ قبيلة رأس يمثلها، وترجع إليه فيما يَجِدُّ لَها من شؤون.. وَكُلٌ منهم يقوم بالوظيفة التي اتفقت الجماعة على إسنادها إليه، في السلم، والحرب...

ـ ألا يختلفون؟؟

ـ كلا. فكلٌ منهم يحافظ على مصالحه الذاتية... وعلى مصالح قبيلته...

ـ وكيف اتفقت هذه القبائل على رؤسائها، وأعطتها حَقَّ التحكم في أمورها؟؟

ـ إن رؤساء القبائل هؤلاء، تحت أيديهم الثروات الضخمة، وهذه الثروات، هي التي تُقْعدهم في سُدَّةِ الرئاسة...

ـ وما هو مسلك هؤلاء الرؤساء مع الذين هم أقلُّ منهم ثروة؟؟

ـ إن الفقراء المستضعفين من قبائلهم، وغير قبائلهم، محرومون، مطحونون...

كل نعيم الدنيا للأغنياء من قريش، وهذا الوضع، جعل مجتمع قريش طبقيًا، صرفاً...

هنا سادة أعلون، متسلطون، وفقراء ومساكين، مُسْتَغَلّون بائسون...

ـ وعلى أي وجهٍ يستغل الأقوياء الضعفاء؟؟

ـ إنهم يتخذون منهم عمالاً، فمنهم من يرسلونه مع القوافل التجارية، ومنهم من يرعى الأنعام، ومنهم من يعمل عبداً في البيوت، ومنهم من يشتغل في تجاراتٍ بسيطة، تحت هيمنة الكبار... ولكنَّ الأجر الذي يدفعونه إليهم يسير، لا يكاد يمسك لهم رَمَقاً...

ـ وإذا لم يَجِدْ أحدهم عملًا فماذا يصنع؟؟

ـ يجوع، ويعرى، وإذا طال زمن البطالة، فإنه يموت جوعاً، وقد يضطر الجوع أحدهم، أن يرهن ابنته، أو زوجته، عند

المرابي. . . فإذا عجز عن سداد ما عليه من ديون عند انقضاء الأجل المضروب، يصبح هو عبداً للمرابي أو يأخذ المرابي زوجته[1]. . .

- هذا، فظيع، مريع. . .

- أجل، هو كذلك، ولذا ترى حقداً جارفاً، يخبئه هؤلاء، لكبار الأغنياء الذين يسرقون جهودهم، ويستذلونهم. . .

- ألا ترى، أن استمرار هذا الظلم الاجتماعي، سيفجر بين الفريقين صراعاً ساحقاً؟؟

- هذا، إذا، وُجد من يقود هؤلاء المحرومين في طريق الصراع. . .

- وهل غنى هؤلاء جميعاً من التجارة، والرِّبا؟؟

- نعم، لأن مكة بلد غير زراعي. . . وينبغي أن لا يفوتني أن أقول لك: إن بعضهم يثري عن طريق البغاء. . .

- عن طريق البغاء؟؟ كيف؟؟

- يشتري أحدهم الجارية، أو الجاريتين، ويكرههما على البغاء، ليجمع الثروة التي ينشدها، وهذه تجارة رابحةٌ هنا في مكة. . .

- والتاجر الغريب مثلنا، ما يكون شأنه، لو حاول أحد التجار، أن يهضمه حقه؟؟

- لقد حدث مثل ذلك في الماضي، فنشأ حلف أطلقوا عليه اسم «حلف الفضول»

---

(١) راجع، أحمد عباس صالح: اليمين واليسار في الاسلام صفحة (٢٧)، تحت عنوان المعدمون.

ـ من قام بهذا «الحلف»، ومن دعا إليه؟؟ وما سببه؟؟

ـ إن أول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب، أما سببه فهو: أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قدر بمكّة وشرف، فحبس عن الزبيدي حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف: عبد الدار، ومخزوماً، وجمحاً، وسهماً، وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصي، وزبروه (أي انتهروه)، فلما رأى الزبيدي الشر، ورأى أن حقه سينتهي إلى ضياع، أوفى على جبل «أبي قبيس» عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فصاح فأعلى صوته:

يا آلَ فهرٍ!! لمظلومٍ بضاعته ... ببطن مكة، نائي الدار والنفر
ومحرم أشعثٍ، لم يقضِ عمرته ... ياللرجال!! وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كَرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام الزبير بن عبد المطلب فقال: ما لهذا مَتْرك...

فاجتمعت هاشم، وزهرة، وتيم بن مرة، في دار ابن جدعان، فصنع لهم طعاماً وتعاقدوا أن ينصفوا كل مظلوم وأن لا يغزوَ ظالم مظلوماً.

وكان بعدها، أن أنصفوا الرجل الزبيدي من العاصي بن وائل[1].

---

(١) راجع ابن هشام: السيرة النبوية ـ المجلد الأول، صفحة (١٤٠، ١٤١) ط. ثالثة ـ بيروت ١٣٩١هـ = ١٩٧١م، نقلاً عن «الروض الأنف» وسمي «حلف الفضول» لأنهم تحالفوا أن يردوا «الفضول» (أي ما أخذ ظلماً) إلى أهلها، جرى هذا الحلف في أوائل القرن السابع للميلاد، بعد انتصار العرب على =

وحتى الآن ما يزال رجال هذا الحلف أحياء، يحمون الغريب من مطامع التجار...

فيقول أبو الليث: ولماذا لا ينقذ «حلف الفضول» المستضعفين من القهر والحرمان؟؟

- إن القوة الثانية، التي لها النفوذ الأكبر، لم تقف موقف المعادي لهذا الحلف، لأن لها في ذلك مصلحة، هي: سُمعتها التجارية في الخارج، ولولا ذلك، لقاوموه، وكتموا أنفاسه...

- وهل كل رؤساء قريش يتصفون بشهوة حب السيطرة، واستغلال الضعفاء؟؟

- كل الذين يملكون تجارات واسعة، يحملون معاني هذه الروح، على أن أنبل قبيلة في قريش هي: بنو هاشم

- ألا يوجد بينهم تجار كبار، ومرابون؟؟

نعم، إن العباس بن عبد المطلب، وأخاه أبا لهب، كلاهما، لا يتميز بشيء عن غيره من تجار قريش...

أما سيد الهاشميين، بل سيد بطحاء مكة، فهو أبو طالب بن عبد المطلب، بن هاشم.

- أليس غنيًّا؟؟

- لا، بل هو فقير، ولكنهم يعترفون له بالوجاهة التي ورثها عن والده عبد المطلب، ولما عنده من خُلُقٍ سَمْحٍ، وعقل

= كسرى في وقعة «ذي قار» بين الكوفة وواسط.

وراجع تفصيل حلف الفضول في: الأغاني: الأصبهاني، المجلد السادس عشر من صفحة (١٢٧ - ١٢٨) ط. بيروت ١٩٥٥.

حكيم، ونفسٍ كأنما صيغت من جوهر الفضائل...

ـ إذن، فهذا نموذج وحيد، في هذه البلدة؟؟

ـ أجل، يا أبا الليث!!

ـ وينظر أبو الليث، فيرى المقداد، قريباً، ولم يكونا قد انتبها إلى وجوده من قبل، فيرتجف، ويمد برأسه إلى أسامة، ويلهث في وجهه: هل لدى قريش عيون تتسقط أخبار الغرباء؟؟

ـ ربما، فهل ترى ما يريبك؟؟

ـ ويغمز الرجل بعينه جهة المقداد، وينظر أسامة فيراه بمرأى منهما ومسمع، فينثني إلى أبي الليث، يريد أن يفرغ في سمعه شيئاً، ولكنه، يرى المقداد، يتقدم إليهما، ويحييهما، ثم يسألهما: هل تسمحان لي بالجلوس معكما، فأنا رجل غريب، قدمت إلى هذا البلد، منذ يومين اثنين؟؟

ويصفو وجه الرجلين من غبار الخوف، والحذر، ويقولان له: ممن الفتى؟؟

فينتسب لهما...

ـ أنت بهرائي، قضاعي إذن؟؟

ـ نعم.

ـ وماذا جئت تفعل هنا؟؟

ـ جئت أُريدُ السكنى في هذه القرية، وفي حدسي، أنَّ نبأً سماويًّا سينشق عنه بطنها، ينير عقول العرب، ويقضي على جاهلية الظلم... والأصنام...

فينظر أبو الليث إلى أسامة ـ كلاهما ينظر في وجه صاحبه، والدهشة تَتَسَعَّرُ في عينيه، «نبأ من السماء، ينير العقول، يُخمد

نار الظلم... ماذا يقول هذا الرجل؟؟؟

وَيُسِرُّ أُسامة إلى أبي الليث: أراه مجنوناً...

ويشاهد المقداد حَيْرتهما، فيدرك أنه قد زَلَّ زلةً خطرة... فإذا هو يقول لهما: معذرة، هذا ما يتراءى لي، وقد أكون مخطئاً...

ـ ها، ليس في هذا الشاب جنون، ولكن به رئياً...؛ ويسمح الرجلان للمقداد أن يجالسهما...

ويُمهدان بالتحدث إليه بعبارات كأنها شهدٌ يقطر عسلاً...

ويحس هو بتلك اللمسات الحانية، تنبعث من نبرات صوتيهما الرقيقة...

هل هما يحلوان معه لأنهما تَخَيَّلا أنَّ به مسًّا من الشيطان؟؟؟ أم ماذا؟؟

ويسألانه عن مَنْبته «حضرموت» ، فيجيب بطلاقة رزينة... فلا يريان به بأساً... فيعجبان...

عنده عقلٌ ثمين... وفصاحة... ولكن، كيف يقول: إن مكة ستنبلج عن نبأ سماوي؟؟

هل هذا صحيح؟؟؟ إنها لبشارة ـ إن صَحَّت ـ تفرش الوجود، بأزاهير الضياء الرحيم...

وينظر الرجلان إلى الظل، فإذا ظل كل شيء قد صار مثله، فينهضان إلى موعدٍ لهما مع بعض التجار، ويقوم المقداد فيودعهما، ثم ينتهي إلى جدار البيت العتيق، يسند إليه ظهره...

المقداد والأسـود

ويبدو المقداد في جلسته، وكأنه يرقب حركات المارة، بينما هو يسبح في تأملات وجدانية سانحة...

ويمر به «الأسود بن زمعة»، فتقف عيناه عليه باهتمام... ولكنه يمضي... ثم لا يلبث أن يرجع...

وعندما يدنو من المقداد، يقف، محدثاً حركةً في وقوفه.. فينظر إليه المقداد... كُلٌّ منهما ينظر في وجه الآخر متأملاً دون أن ينطق،... وإذا الأسود يمشي إليه ويحييه، ثم يقول: أراك غريباً، أليس كذلك؟؟

ـ نعم، فأنا في هذه القرية منذ ثلاث ليالٍ.

ـ هل لك أحد في مكة؟؟ أو إنك قدمت في تجارة؟؟

ـ لا، ولكني قصدت هذا البلد، رجاء العيش في جوار أهل الله...

ـ مرحباً بك، ممن الفتى؟؟

وينتسب إليه... فيقول له الأسود: أنا الأسود بن زمعة من قبيلة زهرة القريشية، وإني لأتوسَّمُ في طلعتك بشراً، فماذا ترى، ـ وهذه الشمس قد غربت ـ لو دعوتك للنزول ضيفاً عليَّ هذا اليوم؟؟؟

ـ أذهب معك...

ـ هيا...

ويسهل الأسود معه لطفاً، وكرماً، لقد طمع أن يجعل من هذا الشاب البهرائي، المكتنز الساعدين، حليفاً له...

وينام المقداد في دار الأسود، وعند الصباح يجلس إليه، يُفرحه بطلاقة وجهه... وبعد حديثٍ قصير يقول له: إن العيش يعسر على الغريب هنا، إلا إذا تحالف مع قبيلة قريشية تُلقي عليه أفْياء حمايتها...

ـ علمتُ هذا...

ـ هل يجمل عندك أن أعقد بيني وبينك حلفاً؟؟

فيقول المقداد بلا تردد: نعم.

ويُعقد الحلف، ويمضي به الأسود إلى أندية قريش، ليعلم الجميع أن المقداد صار حليفاً له..

وتبدأ الأيام تهبط في أقبية الزمن، والحال رخيَّة، والوئام، بين الرجلين، عروةٌ وثقى لا انفصام لها...

ويلاحظ الأسود أنَّ المقداد يذهب عند صعود الشمس من الأفق الشرقي... وعند انحدارها للمغيب، يتفقد وفود القادمين إلى مكة، وفي كل مرة يعود، وفي وجهه قَلَقٌ مقطب...

ما باله؟؟ هل هو يبحث عن شخصٍ ينتظر مقدمه؟؟

قدوم والدي المقداد ـ وفاة أبيه
زواج الأسود من أم المقداد ـ تبنيه إياه

ويحترم إحساسه فلا يسأله؛.. وذات مساء يراه عائداً، ومعه رجل وامرأة، وابتسامة الهناء، تنور في ثغره...

ما أخصب فرحته!! من هذان اللذان يصحبانه، وكلاهما

نديُّ الوجه بالحبور؟؟

ويصل المقداد، فيقول لحليفه الأسـود بكلمات زاهيـات: هذان، والداي، قادمان من حضرموت...

ثم يقول لوالديه: هذا حليفي الأسود، الذي حدثتكما عنه، عندما التقينا...

ويرحب الأسود بهما، ويفرد لهما غرفـةً في داره يسكنان فيها...

بيد أن فرحة المقداد لا تدوم طويلاً... لقد نزل بأبيه مرض مفاجيء.. لم يتركه حتى ضمه إلى مواكب الغابرين...

ويبكي المقداد أباه... وينزل الحزن بالأم كارثةً محطمة.. ويواسيهما الأسود أصدق ما تكون المواساة.

ويوماً بعد يوم، يشفي الزمن جراح الفاجعة في قلب المقداد ووالدته..

وإذا المقداد يتفرس شيئاً طَريّـاً... في حليفه الأسود بن زمعة..

رَآهُ ـ بعدما هدأت عاصفة المصيبة ـ يزورهما، اليوم، بعد اليوم...

رآه، يدخل البيت ظَرْفاً، ونعومةً... ويخرج رِقَّةً، وكياسةً، ورأى والدته تطمئن إليه ببساطةٍ فطرية..

وتتوالى الأيام، وزيارات الأسود الْبَضَّة لا تنقطع، وأحياناً كان يحمل هدايا سَخِيَّة...

ثم ماذا؟؟

ثم، إذا سِـرٌّ يتكشّف... إن الأسـودَ عـالقٌ بحب والـدة المقداد، ذاتِ الجاذبية السمراء... و...

وهوذا قد جاءه ذات مساء، يصارحه بحبه الأبي، النقي... وهكذا تصدق فراسة المقداد..

لا ريب أنه قال للمقداد: أنتما في هذا البلد بحاجةٍ إلى تخليص حياتكما من قسوة العيش، وجفافه... وأنا غنيٌ...، وإني قويٌّ على أن أَصُبَّ عليكما مناعمَ الدنيا صَبًّا...

سنعيش أسرةً واحدة، يُغدقُ عليها الحبُّ، والرفاهُ، محاسنه، وأطايبه..

وما يزال بالمقداد، المرة، بعد المرة، حتى يوافق، إذا كان ذلك يَحْظَى من والدته بالرضى.

وتُوافق الأم بعد تردد، فيتزوجها الأسود[١]، ثم يُعلن تبنّيه للمقداد، فيصبح اسمه: المقداد بن الأسود الكندي[٢]...

إسـلام المقداد ـ تعذيبه في الله

ويدخل الأسود يوماً على زوجته الكنـديّة، فيـراها سـاهمةً تعيش عالـم نفسها الداخلي،... فيتساءل مـا بها؟؟ وتسمـع كلمته.. فترتعد للمفاجأة، وتلتفتُ إليه تقول له: أنت هنا؟؟

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، صفحة (٢٠٤ و٢٠٥) طبع معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، طبع القاهرة ١٩٥٩.

(٢) ظل حاملاً هذا الاسم حتى نزل قوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾، فصار يدعى: المقداد بن عمرو.

ـ نعم.
ـ منذ متى؟؟
ـ منذ برهة قصيرة..
وأنتِ، ما لي أراك قابعةً في أجواء عالم آخر؟؟ هل نزل بك ما يزعجك؟؟؟

ـ كلا.
ـ إني أرى في عينيك اضطراباً... و...
ـ المقداد.
ـ ما باله؟؟
ـ أرى أن تغييراً كبيراً قد طَرَأ عليه..
ـ لعله انغمس فيما ينغمس فيه الشباب الذين في سنه..
ـ لا، إن المقداد ما كان يوماً عابثاً، لاهياً، ولكنّي سمعته يُرَتِّل كلاماً عجباً...

كلامٌ لو كان للسحر طعمٌ، لكان أطْيَبَ من السحر...
وله رائحةٌ، لو كان المسكُ شخصاً وتَنَشَّمَها لانتعش...
وإيقاعٌ موسيقيٌّ نابضٌ..؛ فاتن...

ـ ويحك!! ماذا تقولين؟؟ أعيدي عليَّ كلماتك.
ـ هوذاك، إنه أسمى من أن يخضع لوصف الواصفين..
ـ ألم تحفظي منه شيئاً يا أم المقداد؟؟!!
ـ بلى، حفظت منه عبارات قليلة..
ـ هيا، فأسمعيني إياها
ـ بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يا أيها المدثر. قُم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فَطَهِّر.

والرجز فاهجر﴾[1]

- حقًّا إنه كلام مُعجز، ولكنه سَيُطْلع على ابنكِ وَبالاً..

- يُطلع عليه وبالاً؟؟ لماذا؟؟ قل لي، لقد أَلْهَبْتَ في خاطري ضِراماً

- ما أرى إلا أن ابنَك قد صبأ..

- صَبَأ؟؟ كيف يصبأ؟؟ ماذا تعني؟؟ أوضح لي.

- منذ أشهر، قام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي، يزعم أن الله اصطفاه نبيًّا ورسولاً للعالمين... وأن جبريل الملك، ينزل عليه بوحي من الله، هو: القرآن، وإن ما حفظْتِهِ، آياتٌ من قرآن محمد وأرى، أن ابنك، قد آمن بنبوته، ودخل في دينه.

- ووقفت المرأة، وقد بَرَقَ بصرها تقول: رسولٌ، اصطفاه الله... وقرآنٌ... ها، تذكرت...

- تذكرتِ؟؟ ماذا يابنة كندة؟؟!!

- قال لنا المقداد يوماً: إن نبيًّا سوف يظهر بمكة، وهذا ما جعله يهاجر إلى هنا، ويطلب منا أن نلحقَ به.

- ولكن، كيف عرف المقداد هذا؟؟

- لا أدري... لا أدري...

- يا للهول!! وتتوتر خطوط التجهم في وجهه.

ويحتوي الذعر قلب الأم، فتمسك بكتفه، وتقول له: أي هول؟؟... ما لي أرى الظلمات تتكاثف في وجهك؟؟

---

(١) سورة المدثر: الآيات، (١، ٢، ٣، ٤، ٥).

فيتنهد متوجعاً، ويقول: بالأمس تعاقد زعماء قريش في «دار الندوة» على مقاومة دعوة محمد بن عبد الله... وتعذيب من يؤمن بنبوته... أو يرتدَّ عن دينه...

ويصمت كلاهما... كلاهما يمسك الصمت لسانه، وحركاته... أحقًا صَبأَ المقداد؟؟

ويجلس الرجل، وتجلس الزوجة أمامه، وقد انفتح في ذهن كليهما، أن يبحثا معاً إسلام المقداد، لينجوا به من جحيم قريش، ولكنهما لم يكادا يتطارحان وجوه الرأي، حتى يسمعا لغطاً في الخارج، وصوتاً يهتف: أين سيدي الأسود؟؟؟

قال الرجل: إنه صوت عبدنا نعمان، فماذا حَلَّ به؟؟

ويناديه: أنا هنا يا نعمان!!!

ـ أدرك ابنك المقداد يا سيدي!! لقد مَزَّقوا جلده بالسياط...

وتصرخ المرأة: واولداه!!

ويسرع الأسود إليه يقول له: الويل لك، من فعل به ذلك؟؟

ـ أبو جهل، وأبو لهب، وأمية .. و..

ـ لماذا؟؟

ـ جاء النادي وصرخ: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله...

وشرع يتلو آياتٍ من «أساطير» محمد، وإني لأذكر، أن أبا ذر الغفاري فَعَل مِثْله منذ أيام قريبة، ولو لم يستنقذه منهم العباس بن عبد المطلب، لذبحوه...

أسرع إلى المقداد يا سيدي!!! أدركه قبل أن يموت، واحسرتاه عليه!! لقد رأيتُ من يجلده بالسياط، ورأيتُ من يأخذ بناصيته، ويطرحه أرضاً... ورأيتهم يَسْحَبونه من قدميه... أسرع يا سيدي أسرع، قبل أن يسلخوا جلده...

ـ لعنك الله عبد سوء، أما استطعتَ أن تُسِرَّ إليَّ بذلك، ويهم به يضربه، ولكنه يرى أم المقداد تتداعى أمام ما تسمع وتسقط على الأرض، فيسرع إليها، يُنهضها من سقوطها، فلا يستطيع... إن أعضاءها تتشنج، ثم هي ذي تُصاب بالإغماء... فيقف شعره خوفاً عليها، وترتفع نبضات قلبه، حتى أنه ليسمعها تضجُّ في صدره... ويطلب ماء يرش وجهها... فتفتح عينيها الذابلتين، وتقول بصوت خفيض: ولدي!!

ـ لا تجزعي يابنة كندة، ها أنا ماضٍ لأعود به إليك، فارفقي بنفسك...

ويوكل بها من يحوطها بالرعاية، والعناية، وينطلق إلى السادة من قريش... وبعد جهد عسير ينقذه من لهوات العذاب... ويمضي به إلى أمه يقول باسماً: ها قد جئتك بالمقداد ممتلئاً عافية...

وتنظر الأم، فترى المقداد إلى جوارها... فتهدأ بلابلها...

ويتضاحك المقداد ويقول: أنا بخيرٍ يا أماه!! فلا تخافي، ولا تحزني، وقري عيناً، وينسحب الأسود من الغرفة ويتركهما معاً..

ولا يزال المقداد يرخُصُ لها في الحديث... يلمس بمشاعر الحنان أعصابها الخائرة، حتى يستل منها وَلَهَهَا، ويضعها على ربوة من سكينة النفس، ثم يقول لها: والآن عليَّ أن أستحمَّ، وأغير ثيابي.

وتنهض الأم... فتُعِدُّ له الماء، وتحضر الثياب، فيطلب إليها متلطفاً: أن تتركه وحده، كي يجنبها منظر دروب السياط في جسده، فتتركه...

ويبدأ هو.. يرش الماء على الثوب اللاصق في جسمه من تجمد الدم... ثم يرفع الثوب عن الجراح، ويغسلها بحذر، وبعد الفراغ من الغسل، يلبس ثيابه، ويمضي إلى أمه يفوح منه عبير البشاشة، كأن لم يمسسه سوء...

كان يمازحها باسماً، وحرارة الألم تهب ملء وجوده لفح جمر، ولكنه، يتجلد... ويتجلد...

وعندما يطمئن خاطر الأم تسأله: لماذا فعلوا بك ما فعلوا؟؟

يتفتّق ثغر المقداد عن ابتسامةٍ ورديَّة، ويقول لها: لقد آمنتُ بنبوة محمد بن عبد الله، ودخلت في دينه الذي هو دين الله.

- دين الله؟؟

- نعم، يا أمي!!

- وكيف، ومتى وصلت إلى محمد يا ولدي؟؟!!

- أخذني إليه علي بن أبي طالب (ع) منذ حين، فكنت سابع رجل يشرق الإسلام في قلبه بدراً كاملاً.

- حسن، تستطيع أن تستريح الآن يا بني، وسنتم الحديث

في الوقت المناسب...

وتترك له أن يستريح كما يشاء، ولكنها تعجب من طاقته الروحية... تعجب من إخلاصه لعقيدته ـ ذلك الإخلاص الذي يرى معه جسده الممزّق، وكأنما هو يتقلب في نعيم علوي...

* * *

وتمضي الأيام ماسِحَةً جراحَ المقداد بأنامل الشفاء الرفيقة... ويبدأ بالتغيُّب عن البيت...

ويعود الاضطرابُ إلى إحساس الأم كلما غادر البيت، ولا يقر اضطرابها حتى يعود...

كانت تخشى أن يتصدَّى ثانية لقريش... فتتصدَّى هي له بمقامع من حديد...

ومع خوفها، لم ترضَ أن تنضح أحاسيسه بقطرةٍ من معين نصائحها، خشيةَ أن تسبب خدشاً لكبريائه...

تركته يرسم مستقبله بنفسه... وهكذا فعل والده الأسود...

وتأخذ دائرة الرسالة المحمدية بالاتساع...
لكأنما هي شجرة، أصلها ثابت، وفروعها تنمو بانتظام...

كان أكثر الناس انجذاباً إلى ريحانها جماهير الشعب التي يسرق نعيمها عسف المرابي؟... وأرباب الغنى...

لقدوَجَدُوا مُخَلِّصاً لهم من: الجوع، والتعاسة، والمذلة ـ وَجَدُوا الضُّحى المتألِّقَ بأنفاس الحرية...

إنَّ رسالة محمد تجعلهم يَشعرون بإنسانيتهم، إذْ تسوِّي

بينهم، وبين السادة من قريش...

وتجعلهم يشعرون بكرامتهم، لأنها تربط قلوب كل من يعتنقها برباط: الإخاء، والمحبة...

أما الأغنياء على اختلاف ألوانهم، وطبقاتهم، فهؤلاء يشمخون في طريق تقدمها جداراً من السيوف الصارمة...

الله يأمر رسوله أن يجهر بالدعوة
علي بن أبي طالب أخ الرسول ووصيه
إسلام والدة المقداد ـ طغيان قريش

ويأتي المقدادُ يوماً من رحلته الصباحية، وقد نَضُر وجهه صفاءً..

إن الرّاحة النفسية لَتَشْرَئِبُّ من عينيه أَلَقاً عذبا...

ـ هيه، هل من جديد لدى المقداد؟؟؟

ـ أجل يا أمي!! إن الله أمر رسوله أن يجهر بدعوته، قال له: ﴿ اصدع بما تؤمر ﴾...

وقال له: ﴿ أنذر عشيرتك الأقربين ﴾...

فدعا بني هاشم، والمطلب، وقال لهم: إني رسول الله إليكم، وإلى الناس أجمعين، فآمنوا بالله وحده، ولا تشركوا به..

فمنهم من صمت، ومنهم من رفض، وكان رأس الرافضين عمه أبو جهل الذي قال له: تبًّا لك، ألهذا جمعتنا؟؟

وقال لهم، وكرر ذلك القول ثلاثاً: أيكم يؤازرني على هذا الأمر، ويكون: أخي، ووصيي، وخليفتي من بعدي؟؟

وَكُلُّهم صَمَتَ، وكان علي يقول في كل مرة: أنا يا رسول الله!!

فأخذ الرسول بيد علي في المرة الثالثة، وقال لهم: إن هذا أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له، وأطيعوا...[1].

ـ وماذا فعلوا بعد هذا؟؟؟

ـ ضحك أبو لهب، وقال لأخيه أبي طالب ساخراً: اسمع لابنك، وأطعه...

ـ ولماذا يعارضه أبو لهب هذه المعارضة الضارية؟؟

ـ يا أم المقداد!! إن أقطاب الغنى يعارضون رسالة محمد، لأنها تحطيمٌ لطبقيتهم المستغلة، المستعلية، فهي تحرم الربا، والاحتكار، وكنز الذهب والفضة، وتجعل للفقراء، والمساكين، حقًّا في أموالهم، وأبو جهل، وأبو لهب، وأبو سفيان، وأمية بن خلف... ومن هو في درجتهم يأبون هذا...

إنهم يرفضون بعزم عنيد كل مبادىء محمد، الإلهية، والإنسانية...

---

(١) راجع، تاريخ الطبري: القسم الأول، صفحة (١١٧٢ و١١٧٣) طبع مكتبة خياط ـ بيروت. وراجع: أبو الفداء: تاريخ المختصر في أخبار البشر ـ الجزء الثاني، صفحة (١٤ و١٥) طبع دار الفكر ـ بيروت ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م. وراجع، ابن الأثير: الكامل ـ الجزء الثاني، صفحة (٣٩) طبع دار الفكر ـ بيروت ١٩٥٥، وراجع، الإمام أحمد: المسند ـ الجزء الأول ـ الصفحات (١١١ و١٥٩ و٣٣١). وراجع، الحافظ النسائي: الخصائص، صفحة (١٨)، والسيوطي: جمع الجوامع، جزء (٦)، ص (٣٩٢) الخ.

محمد يريد أن يطهرهم من خَبَث الظلم... الذي يمارسونه على الجماهير الكادحة..

محمد يريد أن ينقذهم من وثنية الجاهلية البليدة..

محمد يريد أن يعلمهم كيف يحترم الإنسان آدمية أخيه الإنسان... ويتعاون معه على خلق مجتمعٍ فاضل، كريم، خالٍ من الشرور... وهم من أجل ذلك عليه ساخطون، وله، ولمبادئه السامية يحاربون...

ـ لا جرم أنه موقف غريب...

ـ إن هؤلاء يا أمي لا يستطيعون أن يرتفعوا إلى الأفق الإنساني النبيل، الجميل الذي يود أن يرفعهم إليه رسول الله، لأنَّ عقولهم متجمدة في إطار مصالحهم الذّاتية... وأنانيتهم، وغرورهم...

قيل لأحدهم: إن رسول الله يدعوك إلى الإسلام، فهل تعلمين بم أجاب؟؟؟

قال: من رسول الله؟؟ وما الله؟؟ أمن ذهبٍ هو، أم من فضةٍ؟؟

هكذا، خيالاتهم... تفكيرهم... مشاعرهم... كل وجودهم متعلقٌ بهذين الحجرين: الذهب، والفضة.

ـ ولم يا بني؟؟؟!!

ـ لأنهما يتحولان معهم سَيْطَرةً على أرواح الجماهير؛.. واستعباداً لها؛.. وقهراً لإنسانيتها...

ويتحولان في مواخيرهم نساءً عاريات... وخموراً... وميسراً... ومنكرات...

فهل يذرون هذا السلطان الأمرد، الّلاهي، ليؤمنوا برسالة محمد التي ترى الناس سواسيةً كأسنان المشط. . .؟؟؟

ولكن الله سينصر رسولـه، وسيعلم الظالمـون أي منقلبٍ ينقلبون. . .

وتنظر الكندية إلى ابنها المقداد، وتقول له: هل ترون أنكم ستكونون أسعد بالاً، بعدما صدع الرسول بدعوته؟؟؟

ـ كلا، فإن «قريش العدوان» ستتفجر شراسـةً، وشراستهـا ستضع المسلمين في غواشٍ من العذاب المهين. . .

وتركض الأم إلى فتاها الوحيد، تضمه إلى قلبهـا، وتقول بحنانٍ جازع: إني عليك خائفةٌ يا ولدي!!

ـ لا تخشي شيئـاً يا أمي، فـإن الصبـر، والثبـات اللذين نستمدهما من: مبادئنا، وعقائدنا، سيجعلان من نارهم رماداً، منـطفئاً، بـارداً. . . لا، لا تخافي، فـإن كلمـة الله ستكـون العليا. . .

والآن، ماذا ترين يا أماه؟؟!! أما حان لك أن تدخلي في دين الله الأحد؟؟

ـ وماذا عليَّ أن أفعل؟؟

ـ تقولين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله، فيضوء قلبك، وعقلك. . .

وتتوقَّف أم المقداد عن الكلام. . . فَيَجِفُ قلبه، أتـرد مطلبه؟؟ أتبقى كافرة؟؟

إذا كان والده الأسود لا يدخل في دين الله، لأنه من وجوه القوم، فما يمنع والدته؟؟

أتخشى غضب الأسود؟؟ إذا كانت تخشاه، فَلْيَبْقَ إسلامها سرًّا..

وتنظر إليه، وإشراقة قلبها، تنعكس على وجهها، وتقول له: أراك تتحدث إلى نفسك.

ـ لم تترددين، يرحمك الله؟؟ إنه دين الله الذي ارتضاه لعباده... إنه دين العدالة، والمحبة، والقيم الأخلاقية الرفيعة...

ـ أريد أن أسألك: هل عليَّ أن أذهب إلى رسول الله، لأعلن إسلامي أمامه؟؟

ـ كلا يا أمي!! تسلمين، وتكتمين إسلامك..

وتنطق الأم بالشهادتين، ويغمر الوجهين الهادئين... سحابةٌ من ربيع النضارة... ويبيتان على سررٍ من جنة الرحمن.

* * *

ويبدأ الصراع الرهيب، العاتي، بين المسلمين، وبين طغيان «قريش»، صراعٌ بين قوة ماردة تملك الذهب، والفضة، وكل أسباب الغَلَب، وفئة لا تملك إلا عقائدها الرحمانية... وبعضهم عبيدٌ للسادة الحانقين... ويصبر المسلمون، المستضعفون، على البلاء... يصبرون على نار السياط المجدولة، يصبرون على حمل الأحجار الثقيلة، الحامية... على صدورهم... يصبرون... ويصبرون.

ويسرف أبو جهل وزبانيته في التعذيب، وفي نزوة غضب مريع، يقتلون والد عمار بن ياسر، وأمه، وهما يهتفان: أحد، أحد[1]...

إنها قوة الدين، واستبصاراته، تجعل الموت لديهم عذباً فراتا..

* * *

ويجلس عمار بن ياسر إلى المقداد في أمسية ركدت فيها ملاحقة قريش لهم أياماً تباعاً، يتحدث إليه فيقول: إن طواغيت قريش تعبوا من تعذيبنا،... تبيّن لهم أنهم الضعفاء أمام صلابتنا، لقد ذهب إلى رسول الله عتبة بن ربيعة يعلمه: أن السادة من قريش أرسلوه إليه، ليقدم إليه عرضاً جواداً..

قال له: إن كنت تريد ملكاً جعلناك ملكاً علينا، وإن كنت تريد ذهباً وفضة جمعنا لك، حتى تكون أكثر منا غِنًى، على أن تترك ما تدعو إليه. ولكن عتبة يعود إلى رؤوس قريش، ليضع في قلوبهم رفض محمد لمطالبهم، جمرة حقدٍ لا يخبو أوراها...

ومنذ البارحة وهم يطلقون رعوداً، وإن علينا أن نترقب وقوع الصواعق على رؤوسنا...

ويضحك المقداد، ويقول: وما علينا، إن في كل وثبة سوط

(١) ياسر من عرب اليمن، نزح إلى مكة فاستوطنها، وتزوج جارية من بني مخزوم هي: سُمَيَّة فولدت له عمارًا وعبد الله. وحين اختار الله محمداً نبيًّا أسلم عمار، وأبوه وأمه وأخوه، وكان الرسول يمر بهم وهم يعذبون فيقول: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

وتدخل أم المقداد عليهما لتقول: إن الأسود قادم، فيودع عمار المقداد ويمضي. .

ويصحّ ظنُّ عمار، فقد جمع «السادة» عبيدهم الذين دخلوا في الإسلام، وأصلوهم آلاماً، محرقة، مذيبة. . .

ولكن صلابتهم كبرت على كل عذاب. . .

إنّهم يُعذبون. . . ويصلبون في حر الرمضاء، غير أن قلوبهم كانت ندية أبداً بعطر السكينة. . .

إن كلًّا منهم يشعر، ـ مع دخان الألم العابق في كلِّ جارحة منه ـ بشيء غامض. . . يحسه، ولا يقوى على وصفه. . .

هذا الشيء كان ينداح في الصدور، راحةً، واطمئناناً. . .

ويلمس طغيان قريش ذلك. . . يرون أنهم عاجزون عن إخضاعهم بوسائلهم الهمجيَّة، بالغةً من العنف ما بلغت. . .

يا لها من غاشية مزلزلة تحل بساحتهم. . . . !!

ولكن، ماذا؟؟ أيناموا على نار هذا الضيم؟؟

إن المسلمين يزدادون كل يوم. . . وكثرتهم تعني حبلًا مفتولاً من الموت يعتصر أعناقهم. . . فهل ينتظرون أن يموتوا هكذا؟؟؟

ويصرخ أحدهم بحقد: تعالوا نذبحهم جميعاً. . .

فيقول أبو جهل: بالأمس قتلنا والدي عمار بن ياسر، وأنزلنا بعمار، والمقداد، وبلال، وخبّاب. . و. . و. . ما هو أعتى من

الموت، وقد رأينا أنَّ ذلك يزيدهم اندماجاً بعقائدهم.... وأنْ تعذيبنا لهم ذلك التعذيب الفاجر، لم يمنع أمثالهم من الدخول في دين محمد، وهم يعلمون، أنهم سَيُشوون على صفائح العذاب شيًّا...

ويقول أمية: لو وَزَنَّا آلام حقدنا، وغيظنا مع ما ننزله بهم من ويل فاسقٍ لتعادلا...

ويصرخ بطيش: إلام نبقى حيارى، معذبين؟؟...

ويقول أبو لهب: بلاؤنا من محمد، ولو تمكنا من هضمه لانتهى كل شيء... ولسلم لنا ترفنا الجسدي، والنفسي...

ويصمتون، ونار غيظهم تتمطى في جوانحهم غضباً مزبداً..

وينادي أحدهم: يا قوم!! كيف نقبل أن يكون عبيدنا أنداداً لنا كما يريد محمد؟؟

كيف نترك زعامة قبائلنا لدين محمد؟؟

ويصرخ المرابون: ومحمد يحرم الربا، ونحن كيف نترك الربا، وقد أطعمنا الذهب، وأعطانا السيطرة على مجتمع مكة؟؟

وينتفخ المحتكرون حقداً، ويزمجرون قائلين: وهو يحرم الاحتكار، وكيف نكون عظماء في قريش إذا تركنا الاحتكار؟؟

ويهتف الجميع هادرين: لا، هذا مستحيل، ولا قوة في الدنيا تزحزحنا عن مقاعدنا...

حيرةٌ افعى تَتَمَلْمَلُ في أذهانهم... تسافر في شرايينهم...

أبو طالب يحمي محمداً... وهم إن أشهروا سيوفهم على أبي طالب يثيرون حرباً بينهم، وبين بني هاشم، تأكل من

تأكل، وتذر من تذر ولا يدرون من يكون منهم وقودها...

فقد تأتي عليهم هذه الحرب الخبيثة...

وماذا هم واجدون بعد أنفسهم...

وإذا هم اكتفوا بتعذيب المؤمنين بنبوة محمد خسروا كل شيء...

فهؤلاء الذين يعذبونهم، لا تؤثر فيهم سموم العذاب...

إن طاقاتهم الروحية معين يرفده حُبُّهُم لمحمد بتيارٍ لا ينضب..

ولا يكاد يتوارى يوم، حتى يحرز محمد انتصاراً جديداً، بأن يدخل في دينه رجل، أو رجلان...

وما دامت هذه هي الحال، فإن النتائج واضحة أشرقَ ما يكون الوضوح...

ماذا يفعلون؟؟؟ أي شعب يسلكون؟؟

حيرة أفعى تنهشهم، وتمعن في النهش...

أيستسلمون لمحمد؟؟؟ وأيُّ شأن يبقى لهم بعد ذلك؟؟؟

أيتركون القيان، والخمور، والملاهي، والثراء المتبجح، والزعامة المتغطرسة، والرفاه الحريري، والشهوات الجسدية البطرة، المسكرة؟؟؟

أيتركون كل هذه المتَعَ الشهية، الحالية، ليعبدوا إلٰهاً أحداً، ويغدو كُلٌّ منهم تلميذاً في جامعة محمد، التي تساوي بين الجميع، وتحرم عليهم عسل الشهوات التي يحيون لأجلها...

لا، إنهم لا يرضون عن عبادة: اللات، والعُزّى، بديلاً، لأنها تحلل لهم حياة الخلاعة، والمجون، والفوضى، وكنز

الذهب والفضة، واستعباد جماهير الشعب، واستغلالهم... وفوق هذا، فهي تخلع عليهم حللَ الأسياد الجبارين...

إذن، فهم لها، ولا يعبدون سواها...

أما تعاليم محمد (ص) التي تفرض: الإخاء، والمحبة، والتعاون...

أما جنة محمد وناره...

فهذه كلها زخارف، من قول، ساحرٍ، بديع، عجيب...

وأما محمد نفسه، فسوف يجدون الوسيلة التي تستأصله من دنيا الأحياء...

هكذا، سَوَّل لهم حبُّ الاحتفاظ بمكاسبهم، وامتيازاتهم الطبقية...

وهكذا، أُصيبوا بشلل العقول أمام غرائزهم...

وأصروا على البقاء في غربتهم الجاهلية...

وأخذوا يتوعدون... ويهددون... حتى تأجج ناديهم بنار الغضب...

ويسخر ابن العاص منهم ويقول: لقد أشعلتم ناراً لتحرقوا فيها محمداً وصحبه...

ولكنكم لم تضرموها إلا بأنفسكم، ولم تحرقوا سواها...

ويقول خالد: هذا، والله، صحيح...

ويقف أبو سفيان، ويقول: لندع هذا الغليان الهاذر، وَلْيُبْدِ كل منكم ما يراه صواباً...

ويتفقون أن يمضوا إلى أبي طالب...

ويمضي وفد منهم إلى أبي طالب، ويعود الوفد إعصاراً مدمّراً. . .

قالوا لإخوانهم: محمد لا يترك دعوته، ولو جعلوا الشمس، والقمر، ملكاً له، وأبو طالب، لا يتخلّى عن حماية دين محمد، ولو حاربه كل من في الأرض.

ويزأرون، سوف نرى. .
ويندفعون أعاصير، تهدم، تحطم، تهيمن على النفوس، ذعراً خانقاً، جاثماً. . .

ويصمد المسلمون لثورة الأعاصير الطاحنة، حتى الرسول الكريم (ص)، ضغطته الأعاصير ضغطاً. . .

ولولا سيف أبي طالب يقف دونه جبلاً عزيز المرتقى، لانتهى محمد. . . وانتهت دعوته. . .

ويرى الرسول (ص) ذئاب الطغيان نزاعةً إلى شرب الدماء، فيطلب من المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة. . .

- نهاجر، وندعك نهباً لحراب الطاغوت، إننا نفضل أن نصرع حولك. . . ؟

- بل تهاجرون، فأنا في حماية حصينة. . .

ويقوم المقداد بن الأسود في نفرٍ من صحبه فيقول وكلماته لا تكاد تنتظم من حماسه الصاعد: يا رسول الله!! دعنا نفاجئهم بسيوفنا في ناديهم، فنقتل رؤوس الشرك. . .

لقد كنا في عز، ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلةً، فأذن

لنا بقتال هؤلاء...

فقال: كفوا أيديكم عنهم، فإني لم أؤمر بقتالهم[1].

الهجرة الأولى إلى الحبشة
الهجرة الثانية

ويمضي عدد قليل من المسلمين إلى الحبشة في الدفعة الأولى، العام الخامس للبعثة المحمدية (٦١٥م)[2]، وفي العام السادس (٦١٦م) يهاجر إلى الحبشة دفعة ثانية قوامها سبعون صَحَابيًّا، وصحابية، ومعهم المقداد بن الأسود.

تقول سيرة ابن هشام: وخرج مع المهاجرين إلى الحبشة من بهراء «المقداد بن عمرو، بن ثعلبة... بن بهراء... بن قضاعة...»[3]، ومن جدة[4] يركب المهاجرون من المسلمين السفن الشراعية التي تمخر بهم عُباب البحر الأحمر إلى أرض الحبشة، حيث أمرهم رسول الله.

ويسأل المقداد الملّاح الذي يقود سفينتهم: هل تواجه مصاعب في ركوب هذا البحر؟؟

---

(١) محمد رضا: محمد رسول الله، ص (٢٠٦)، ط. ثانية، مصر ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩م.

(٢) كانوا أحد عشر رجلاً، وأربع نسوة.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، المجلد الأول صفحة (٣٤٨) ط. دار إحياء التراث العربي، ط. ثالثة ـ بيروت ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

(٤) جدة: مدينة في الجزيرة العربية على شاطىء الساحل شرقي البحر الأحمر، تبعد عن مكة (٤٦ ميلاً،) طقسها حار ورطب (دائرة المعارف الإسلامية).

ـ إن في قاع هذا البحر «جبل المغناطيس»، لذلك، فإن السفن التي نستعملها خالية من المسامير، خشية أن يجذب المغناطيس المسامير فتتفكك السفينة...

إننا نكتفي بأن نربط الأخشاب إلى بعضها بحبالٍ من القنب... ولكي نحفظ الخشب من تأثير ماء البحر، فإننا نغطّي السفينة من الخارج بالدهون السميكة... ونحن لا نسافر في الليل، بل تُلقي سفننا مراسيها، عند جزيرة من هذه الجزر الكثيرة في هذا البحر، خوفاً من مخاطره...

ثم طفق يحدثهم عن الشعاب المرجانية الحمراء[1] التي تنبت على صخور هذا البحر، فقال: إنها شبيهة بالغابات الكثيفة...

ويرى المقداد حينما كانت السفينة تمر قرب تلك الغابات المرجانية سمكاً كثيراً، متعدد الأنواع.... ولكنَّه أعجوبة البحار في جمال ألوانه البراقة[2]....

وكان يرى هذه الأسماك تعوم وتنبسط تحت الماء على عمقٍ قريب، متأنية حيناً، ومسرعة حيناً... وتدنو من السفينة حتى تكاد تلاصقها، ثم تبتعد عنها، وطوراً تطفو على سطح الماء تختال برشاقتها، وجمالها.

ويسأل المقداد ملاح السفينة عن هذا السمك فيقول: إن هذا البحر أكثر دفئاً في فصل الشتاء.... وأسماكه كالزهور تأملها

(١) ومن هنا ولأن فيه سمكاً أحمر سمي: البحر الأحمر.
(٢) جاء في الآية (١٢) من سورة الرحمن: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان

جيداً، فإنك ترى أن سمكاً منها له زعانف ذات شعاب بيضاء، وبعضها بلون البنفسج، له عيون زرقاء، وترى سمكاً صغيراً، له لون برتقالي، ذهبي، وسمكاً أحمر، وسمكاً ملوناً بالأبيض والأسود، إنها أغرب، وأجمل أنواع السمك في الدنيا[١].

وأخيراً، يطل عليهم ساحل الحبشة، هذا الساحل الرائع الجمال، الذي يجتذب بهاؤه الناس من جنوب بلاد العرب...

ويسأل المقداد الملاح عن أرض الحبشة فيقول له: إنها بلاد جبليةٌ غزيرة الأمطار، ينبع فيها النيل الأزرق، وهي غنية بالغابات، وساحلها هو الساحل الوحيد من بلاد إفريقية المطل على البحر الأحمر[٢] وفيها بحيرة «أحاووس»، وفيها الهضبة التي يقول التاريخ: إن الطوفان عندما أغرق الأرض، لم ينْجُ منه إلا رعاة كانوا فوق هضاب الحبشة[٣]، وإيران[٤] والمكسيك[٥] وهملايا[٦] واطلانطس[٧].

(١) راجع، مجلة الهلال، عدد أيلول ١٩٧٨، صفحة (١١٦) وما بعدها.

(٢) راجع، دائرة المعارف الإسلامية، ومنجد الأسماء مادة «أثيوبيا». وراجع، موسوعة المعرفة المصرية المصورة ،مجلد (١٥) صفحة (٢٢١٥).

(٣) أنيس منصور: الذين هبطوا من السماء، ص (٢٥) ط. سادسة، بيروت، هضبة الحبشة قسمان: الهضبة الوسطى والهضبة الشمالية أعلى قممها أرس دهشان وارتفاعه (١٥١٥٨)قدماً = ٤٣٣٣ متراً.

(٤) أعلى المرتفعات في سلسلة جبال إلبورز الإيرانية، حيث يرتفع جبل «ديماوند» ٦٢٠٠م.

(٥) أعلى قمم المكسيك جبل «سيتلالتيتل» وارتفاعه ٦٢٣٣ متراً ـ المكسيك إحدى دول أمريكا الوسطى.

(٦) هملايا: واقعة شمال الهند، أعلى قممها أفرست، وارتفاعها (٨٨٨٨) متراً.

(٧) اطلانطس: اسم قارة عرفت فيما بعد باسم قارة اطلانطس، أغرقها في أعماق البحر البركان الذي شهدته المنطقة في القرن الخامس عشر قبل =

وينزل المقداد مع صحبه على ساحل الشاطىء الفاتن...

ما أبدعَ ما يرون، جبال جرانتية[1] ترتفع تماثيل للجمال الرائق... ومشاهد طبيعية زخرفتها الألوان...

ويستقر الركب المؤمن في «أكسوم» حاضرة الحبشة.
ويقارن المقداد بينها وبين مكة، فيرى هنا حسناً طبيعياً ينسجم مع المناخ راحةً للأعصاب القلقة...

أما «مكة» فهي بَلَدٌ غير ذي زرع، حبيسة جبال وشعاب، يقل فيها هطول الأمطار، ولكنه يراها - مع قحطها - أجمل بلدان العالم، لأنها تضم بين جناحيها محمداً رسول الله (ص)، منبع الجمال الروحاني، الذي يهون عنده كل خصب... وكل حسن...

ويبحث المقداد عن عمل فيجده... فالمسلم لا يجوز أن يكون عالةً على أحد...

وفي كل مساء يزور جعفر بن أبي طالب، مع إخوانه، يتذكرون الرسول العظيم... ويتذكرون قريشاً وطغيانها السفيه،

= الميلاد، وكانت تشغل المكان الذي يغطيه المحيط الاطلانطي، ولم يَبْقَ منها غير جزر كناريا (راجع، الذين عادوا إلى السماء صفحة (٣٤) طبع دار الشروق - بيروت، ط. أولى ١٩٧٧. أما العدد (٢٣٧) - ملحق العربي، شوال ١٣٩٩هـ، فيقول: إنها كانت في شرق البحر الأبيض المتوسط، وأن أول من ذكرها أفلاطون، راجع الملحق المذكور لتقرأ عنها مُفَصَّلاً.

(١) الجرانيت: صخر اندفاعي، لونه رمادي أو وردي منقط ببقع سود، وهو ثقيل، وقاسٍ، ومقاوم للكسر (كتاب العلوم: البغدادي ورفاقه، ط، وزارة التربية بدمشق، ص (٣٩) ١٩٧٨.

الحاقد، ويثنون على أصحمة مليك الحبشة الذي استقبلتهم بلاده استقبالاً كريماً، حبيباً.

ولا بُدَّ أنهم كانوا يتذكرون جيش الفيل... وعلاقة ملك الحبشة السابق به...

ولا بُدَّ أن الحوار الذي دار بينهم كشف لهم: أن أبرهة حاكم اليمن، كتب إلى النجاشي السابق يقول له: إن سلطان النصرانية، يجب أن يمتد،.... ويتلاقى، ليكون رعباً في قلوب أكاسرة الفرس.... وأن بين ملك قيصر وبين الحبشة واليمن النصرانيتين هذه «القرية» مكة، ذات المركز التجاري الفخم... فإذا بسطنا عليها حكمنا، وهدمنا الكعبة... وأرغمنا العرب أن يحجوا إلى كنيستنا في اليمن... فإن الأرض التي تمتد من البحر الأسود، إلى البحر الأحمر... إلى... يصبح ملكاً للنصرانية..

ويعجب هذا الرأي سيد الحبشة، فهو يحقق له مكتسبات: سياسة، واقتصادية، ودينية، ولذا، يباركه، ويمد أبرهة بما طلب من: مالٍ، وسلاح، ورجال، وأفيال...

ويقول جعفر بن أبي طالب: ولكن رب البيت حماه، كما قال عبد المطلب، وأهلك أبرهة... وجعله يموت شارقاً بأحلام الياسمين البيضاء...

ولا بد أن المقداد عَلَّقَ على ذلك قائلاً: كان ذلك عِزًّا لقريش، وشرفاً، ومنعة، وإني لأرى أن الله فعل ذلك من أجل نبي الهدى محمد...

إن هزيمة أبرهة، وحبيشه، كان دلالةً قاطعة على أن فجراً جديداً سوف يبزغ... هذا الفجر هو: ظهور محمد بالرسالة الإلهية التي ستطلع على الكون نهاراً مبصراً للناس أجمعين...

وتمضي أيام المسلمين في الحبشة على هذا النحو، يجتمعون فيتحادثون سهراتٍ نديةً بالحب... ويتسقطون أخبار رسول الله (ص)... وأخبار قريش؛... وفي النهار يزاولون أعمالهم، بنشاطٍ، ومحبة...

عمرو بن العاص في الحبشة
مقاطعة قريش لبني هاشم ـ انتهاء المقاطعة

وينتهي إليهم يوماً: أن «قريشاً» أرسلت عمرو بن العاص، يحمل هدايا إلى الملك، وقواده،...

ابن العاص الداهية، جاء هنا، ومعه هدايا؟؟ إنه لم يقدم إلا لِشَر..

ويخشى المسلمون أن يُغَيِّر عمرو بن العاص قلب النجاشي عليهم، فيطردهم من أرضه...

ويقول لهم جعفر: لا تخشو بأساً، فإن الله ناصرنا على ابن العاص، ودهائه...

وهم في حديثهم يأتيهم رسول النجاشي، يطلب إليهم، أن يقابلوا الملك..

فيلبون الدعوة... وإذا عمرو بن العاص يقول للمليك: إن هؤلاء خالفوا دينك، وديننا، وفرقوا وحدتنا، وإننا نرغب إليك

إبقاءً على صداقتنا، وحسن الجوار، أن تعيدهم إلى قومهم...

فينهض جعفر بن أبي طالب بإذن المليك، يرد على عمرو بن العاص، كلامه...

ويرى النجاشيُّ نور الحق ينبلج من كلمات جعفر، فيرد على ابن العاص هداياه، ويرد مطلبه... ويبقى المسلمون عند النجاشي خميلة زهر،يتعهدها بالعناية، والرعاية، والإكرام(١).

ثم تأتيهم أخبار الرسول (ص) لمحةً، بعد لمحة، يعلمون أن أبناء «يثرب» من قبيلتي: الأوس، والخزرج، قد دخلوا في دين الله، وأنهم عاهدوا الرسول (ص) على أن يدفعوا عنه، ما يدفعون عن أبنائهم، وأهلِهم، فينعقد ذلك في قلوبهم فرحاً، ومرحاً، وغبطة...

ثم يبلغهم نبأ مقاطعة قريش لبني هاشم والمطلب، لا يشترون منهم، ولا يبيعونهم، وأنهم كتبوا بذلك عهداً على صحيفة علقوها على جدار الكعبة... وأن الحاجة أرغمتِ الرسول (ص) ومن معه على أن يأكلوا أوراق الطلح المرة، والجلود اليابسة، فيألمون لذلك ألماً قاسياً.

كانت عواطفهم «ميزان» جوٍّ شديد الحساسية، فحيناً ترتفع إلى القمة من درجات البهجة الرغيدة...

وحيناً تنخفض إلى أدنى الدركات من الألم، المضني، الذابح..

---

(١) اقرأ كتابنا: أبو طالب عملاق الإسلام الخالد، ففيه تفصيل لهذه الحادثة.

ولكنَّ ضياء الرجاء كان يهبهم صِحَّـةً نفسيةً، تـوازن بين صحراء الآلام... ورياض البهجة...

ثم يبلغهم أن قريشاً رجعت بعد أعوام ثلاثة، عن بغيها، وأن الله قد مَزَّق وثيقة المقاطعة..

ويفسر بعضهم تراجع قريش عن المقاطعة بأنه ظَفَرٌ مكين، سوف يتحوّل قدرةً فاعلةً في مَدِّ الرسالة المحمدية.

وهذا «المنطق» زَيَّنَ لهؤلاء البعض أن يعودوا إلى مكة، وكان على رأس العائدين المقداد بن الأسود الكندي...

رجوع المقداد في جمادى الأولى العام السـابع للبعثة (آب ٦٢٨م).

وتستقبل قريش العائدين بوجوه كارهة تبرز منها أسنة الرماح، وظبات السيوف..

ويرون أن قريشاً ما برحت تدور في فلك طغيانها وضلالها..

ويعلمون أن تمزيق الصحيفة كان قسراً..

فيعدون للمكاره دروع الصبر الواقية...

ويمضي المقداد إلى أمه، فتأخذه بين ذراعيها قارورة عطر، وزهوة عمر... ويرحب به والده الأسود... ويلتئم الشمـل بهيًا، ورديًا...

بيد أن قريشـاً تتحرك عُنفـاً مجنونـاً... فتجعل من أيـام المسلمين تعباً، ونصبا...

وفاة أبي طالب وخديجة:

وينزل بالرسول (ص) خطبان قاسيان هما: وفاة عمه أبي طالب، وزوجته خديجة بنت خويلد..

كان عمه اللسان الرطبَ البليغ، في الدعوة إلى الإسلام...
وكان قلعته الحصينة التي تدفع عنه شَرَّ الطاغوت المتنمِّر...
وقد أصبح، بعد وفاة عمه غرضاً مكشوفاً لأحقاد قريش الشامتة...

كان يردد في كل مجلس: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب[1].

وكانت زوجته خديجة ريحانة أنسه...
وهو حين يعود إلى داره يجده مفروشاً بطنافس الراحة، طافحاً بماء الحبور...

والآن، وقد فقد عمه... وفقد زوجته... فكيف يكون شأنه؟؟

إنه رسول الله (ص)، والله لا يتخلّى عن رسوله... بل، إنه من قلب الظلمة المعقدة، يرفع له سراج النور علماً يضيء له المسالك الوعرة... الملتوية... ذلك هو إيمان محمد بن عبد الله بربه الأعلى الذي اصطفاه لحمل الرسالة المحررة... الخلّاقة...

ويخطر للرسول أن يدع مكة إلى حين..

---

(١) راجع، ابن كثير: البداية والنهاية ـ الجزء الثالث، صفحة (١٣٤).

خروج الرسول إلى الطائف[1]

ويخرج إلى الطائف بدعوته عساه يجد هناك لله جنداً . .

غير أنه يلقى فيهم قريشاً، كفراً، وتركيباً اجتماعيًّا، وسلطة احتكارات وأذًى، فيعود إلى مكـة، لهيفاً، وجِعـاً، محتسباً، صابراً، يدعو ربه فيقول: اللهم!! إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ، فلا أبالي . . .

وكان المقداد والمسلمون يعيشون أوجاع الرسول، اضطراباً داخليًّا يجرح الأكباد بصمتٍ رهيب . . .

الإســراء[2] :

ويصبح الناس يوماً، يكلم بعضهم بعضاً همساً . . . كـان الهمس وليداً، ثم ربا حتى صار أمواجاً من الضوء، تغمر كل ذرةٍ في مكة . . .

ثم يتجاوز مكة إلى آفـاق الجزيـرة العربيـة فيملأهـا طيباً قدوسيًّا . . .

ماذا أيها الناس؟؟!!

لقد أسرى الله برسوله محمد من «مكة» إلى «بيت المقدس» في فلسطين . . .

---

(١) الطائف: مدينة في الحجاز، جنوب شرقي مكة، تقع على قمة جبل غزوان، يسكنها بنو ثقيف تبعد عن مكة (٧٥) ميلاً، وترتفع عن البحر (٥٠٠٠) قدماً.

(٢) كان الإسراء يوم الإثنين في ٢٧ رجب (٦٢١)م. قبل الهجرة بعام واحد.

ومن هناك أصعده إلى الملأ الأعلى يُزوده طاقةً روحانية، ويريه من آياته الكبرى، بعدما فقد عمه، وزوجته، وبعد أن آذته ثقيف في الطائف...

وهو ذا يعود من إسرائه الأرضي ـ السماوي، صفاءً أنضر ألقاً، وعزماً أغنى مضاءً...

ويعطي الرسول (ص) للمكذبين، والشاكين، الدلائل الحسية على رحلته ـ يصف لهم المسجد الأقصى، ولم يكن رآه من قبل، فيقول من زار المسجد الأقصى: إنه لصادقٌ فيما يقول...

ويخبرهم عن عير لهم قادمة بتجارة، رآها في الطريق، ويحدد المكان... والزمان...

ولكن الشرك يكابر... ويكذب... ويرفض الدليل الحسي... يتعامى عن كل شيء...

ويذهب إلى أعمق من ذلك، إنه يعمد إلى صب ماء الشك في قلوب المسلمين..

شرعوا يقولون لهم: أرأيتم، كيف وضح مكر محمدٍ بكم؟؟؟

هل يصدق أحد، أنه ذهب إلى بيت المقدس، وصعد إلى السماء، وشاهد عجائبها، وخاطب ربه، في جزءٍ من ليلة واحدة؟؟

وَيَفُتُّ المشركون دعايتهم هذه في كل مكان...

إنهم يُغالطون... إنهم يتجاهلون الدليلَ الحسي المؤيد بالبرهان الذي قدمه رسول الله (ص)، ليزعزعوا إيمان المسلمين...

غير أن المسلمين يصرخون في وجوه أرباب الشرك: صدق

رسـول الله... ولقد أعـطى الـدليـل الحسي القـاطـع على صـدقه... ولكن عنـادكم يحجب عقـولكم عن رؤيـة أنـوار الملكوت السماوي...

ويجيب المشركون على تصديق المسلمين لنبي الهدى، بأن يصدموهم بحملةٍ جديدة... يحملونهم فيها من العذاب وحشيةً تأكل لحوم الإنسان حيًّا، وميتاً...

ولكن جبروتهم يخنع لهزيمة منكرة..

لقد رأوا الرسول (ص)، وصحبه، أصلبَ مكسراً... وأجمل صبراً... فيجتمعون في ناديهم، ويرى أحدهم رأياً، يعتمده القوم جميعاً، ويحافظون على سريته محافظةَ البحر على ما في أعماقه من أسرار...

هجرة الرسول ـ علي ينام في فراش رسول الله

وتستيقظ مكة يوم الخميس أول يوم من ربيع الأول على حركة صخوب[1]...

شبانٌ سيوفهم مجردة... يركضون هنا، وهنـاك... وفي عيونهم فزع، وفي حركاتهم ذهول مبين...

من يطارد هؤلاء؟؟..

ويخرج الناس من مساكنهم يتساءلون: ماذا حدث؟؟

وتخرج النساء إلى الشرفات، وأسطحة المنازل، يَنْظُـرْنَ إلى

(١) وصل الرسول إلى المدينة لاثنتي عشرة ليلة خَلَتْ من ربيع الأول ظهر يوم الإثنين لثلاث وخمسين سنة من مولده (٢٨) حزيران (٦٢٢م).

بعيد، عساهنَّ يرين العدو الذي يسعى إليه هؤلاء الشبان... فلا يرين أحداً...

وَيَتَعَطَّفُ الناس على بعضهم يتهامسون: ماذا جرى؟؟

ولم يلبثوا إلا قليلاً، حتى رأوا السادة من قريش، يجرون ركضاً إلى «دار الندوة»، وفي جريهم الملهوف ما يدل على أن رزءاً ساحقاً نزل بقريش...

ويلحق بهم الناس مسرعين، إلى دار الندوة، يرومون أن يعرفوا السر الأخفى...

ويقفون أكواماً خارج دار الندوة، ينتظرون ما يطلع به عليهم السادة الأعلون...

وتسترق العيون النظر... وتسترق الآذان السمع... من ثنايا الأبواب، والنوافذ المغلقة...

إن الرؤساء سكارى... يقومون... ويقعدون... ويحركون أيديَهم في الهواء... وينغضون رؤوسهم بغضب... ياللعجب!!!

أي هولٍ طارىء أسكر هؤلاء الأسياد؟؟

وتتساقط ورقة من شجرة الزمن بعد ورقة؛... فإذا الخيط الأبيض يتبين من الخيط الأسود... إذا السر الرهيب ينكشف، السر الذي جعل مكة كل مكة تضطرب وتعيش ساعات توترٍ عصبي... وقلقٍ نفسي...

إنما، ما هو ذلك السر المذهل، المسكر؟؟

يقول أحد الخارجين من «دار الندوة»: لقد ترك محمد بن عبد الله مكة...

ترك مكة؟؟ ولكن، إلى أين مضى؟؟ إلى الحبشة؟؟ إلى يثرب؟؟ إلى أين؟؟

وتتطاول كل عنقٍ لتأخذ الجواب الصحيح...

ويعلمون أنه هاجر إلى «يثرب» لينزل على المسلمين من: قبيلتي الأوس، والخزرج...

ويُبرعم سؤال طري على شجرة الحدث المفزع، ثم يتفتح هاتفاً: ما الأسباب التي دفعت محمداً (ص) إلى الهجرة؟؟

ويعرف الجميع، أن سادة «قريش البغي» قرروا في اجتماع لهم سري، أن يغتالوا محمداً (ص) عند بزوغ فجر هذا اليوم، ولكي يذروا سيوف بني هاشم والمطلب قارَّةً في أغمادها، رأوا أن يشترك في اغتياله شابٌّ من كل قبيلة من قريش...

ويعلم الناس، أن الشبان الذي اصطفوهم ذهبوا ـ حين هبط الظلام الحالك ـ إلى بيت محمد (ص) يرصدونه..

وينظرون من الباب فيجدون محمداً (ص) نائماً، متدثراً ببرده الحضرمي الأخضر، فيطمئنون إلى وجوده، وإلى أنه أصبح في حلقة الحصار الذي لا فكاكَ له منه...

ويجلسون أمام البيت، يتخافتون في سمرهم، منتظرين إطلالة الصباح، لينفذوا المهمة التي أناطها بهم الأسياد...

وعندما تشرع خيوط النور بابتلاع الظلام، يهجمون على الباب...

ولكن، ما هذا؟؟؟

إنهم يرون علي بن أبي طالب ينهض من الفراش ويقول لهم: ما بالكم؟؟ لماذا جئتم هنا؟؟ ماذا تريدون؟؟ وينبهر القوم، ويصرخون: أَعَلِيٌّ بن أبي طالب؟؟

- نعم.
- أين ابن عمك محمد؟؟
- لا أعلم.
- لا تعلم، أهكذا تخدعنا، وتهيء النجاة لمحمد؟؟ لنذبحنَّك ذبحاً...

ويهجمون عليه، ويسبق الجميع خالد بن الوليد، شاهراً سيفه، يريد أن يبطش بعلي.

وَيَثِبُ علي إليه، بخفة فائقة، فيمسك بيده، ويعتصرها، فيسقط السيف على الأرض، فَيُسمع له رنين، يجفل منه الآخرون، ويلتقط علي السيف، ويُقبل عليهم، فيولون هاربين...

وتقول الجماهير المحتشدة: ما أشجع علي بن أبي طالب، وما أجرأه!!!...

ويخرج أبو جهل من دار الندوة، وهو يضرب كفًا على كف، ويهتف بحرقة: ألا يكفي ما لقينا من أبي طالب في حماية محمد حتى يجيء ابنه علي فينقذه من أيدينا في اللحظة الحاسمة؟؟

لقد خسرنا كل شيء... خسرنا كل شيء...

ويقول أبو سفيان: واللات، والعُزّى، إن عمل علي أربى على جميع ما فعله والده أبو طالب من أجل محمد بن عبّد الله...

وتعلن قريش عن جائزة كبرى قدرها «مائة ناقة» لمن يجيء بمحمد (ص) حيًّا، أو ميتاً.

وينطلق الطامعون في الجائزة يجوبون كل فج... ولكنهم يعودون خائبين..

وتعلم قريش فيما بعد، أن جبريل جاء محمداً (ص) يخبره بما بيتوه، ويقول له: إن الله قد أذن لك بالهجرة إلى يثرب...

وتعلم أيضاً أنه سبق الهجرة اجتماع ثلاثي ضم مُحمداً رسول الله (ص)، وابن عمه عليًّا (ع)، وصاحبه أبا بكر، وأن الرسول أطلعهم على ما أخبره به جبريل...

ويرتاح عليٌّ وأبو بكر لهذا النبأ... غير أن الرسول يقول لهما: ولكنَّ أمري سينكشف، إذا لم يرقد امرؤ في فراشي، ويوهم المشركين الذين سيرصدونني عند حلول الظلام أني موجود، فيكفون عن ملاحقتي... وبذلك ينفتح لي سبيل الهجرة إلى «يثرب» والنجاة من الهلاك...

ويصمت الرسول (ص)...
ويقول أبو بكر: ومن يستطيع ذلك يا رسول الله؟؟!!
فينهض علي ويقول: أنا أرقد في فراشك يا رسول الله!!!
ويبارك الرسول ابن عمه علي بن أبي طالب...
ويسأله أبو بكر الصحبة... فيلبي رغبته...

وينسحب الرسول (ص) وأبو بكر من مكة محتجبين بظلام الليل..
ويرقدُ عليٌّ (ع) في فراش الرسول يغطّي انسحابهما...
ويحميهما من فتك قريش الباغية...

يقول الأستاذ محمد رضا معلقاً على حادثة الهجرة، ومبيت علي (ع) في فراش الرسول (ص): «إن علي بن أبي طالب (ع) أول من شرى نفسه ابتغاءَ مرضاة الله، ووقى بنفسه رسول الله (ص)»[1].

* * *

وكان لله في علي (ع) شأن، فقد حفظه من المشركين...
وبعد أن يُمضي أياماً ثلاثةً في مكة، يؤدي فيها الأمانات المودعة عند الرسول (ص) إلى أصحابها، ينطلق إلى «يثرب».

ويجيء الأسود إلى داره، وعبوس الشر في وجهه... ولا يستقر به مجلسه حتى يقول: ليتهم قتلوا علي بن أبي طالب يوم هاجر محمد بن عبد الله.

فيقول المقداد: يقتلون علياً؟؟!!... وهل استطاعوا إلى ذلك سبيلاً وأمسكوا؟؟

- وهل بوسع علي وحده أن يحارب قريشاً مجتمعة؟؟؟

قال أسياد قريش: ذروه الآن، ولنفرغ إلى البحث عن محمد، ولقد فاتهم محمد (ص)... وفاتهم علي (ع)... وعندي أن ذلك نذير سوء لمستقبل قريش...

---

(١) راجع: محمد رضا: محمد رسول الله صفحة (١٦١) طبعة ثانية في مكتبة الجامعة المصرية ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م.

قالت أم المقداد: علمنا كيف فاتهم محمد، ولكن، ماذا تعني بقولك فاتهم علي، وعلي ما يزال في مكة؟؟؟

- يابنة كندة!! إن عليًّا، بعدما أدى أمانات ابن عمه محمد، خرج في صبيحة هذا اليوم مبكراً، ومعه الفواطم: فاطمة بنت أسد والدته، وفاطمة بنت محمد، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، ولما علم زعماء قريش بسفره المفاجيء، بعثوا إليه بثمانية من فرسانهم، ومع الفرسان الثمانية، جناح مولى حرب بن أمية، المشهور بالفتك، وشدة المراس، فأدركوه في «ضجنان».

ويراهم علي (ع) قادمين، فيأمر أيمن ابن أم أيمن مولى محمد، وأبا واقد، اللذين يسوقان الرواحل، أن يُنيخا الإبل، ويعقلاها، ويتقدم إلى النسوة فينزلهنَّ، ثم يستدير إلى الفرسان التسعة، وقد أشهر سيفه..

قالوا له: يا غدار!! أظننت أنك ناجٍ بالنسوة؟؟ ارجع، لا أبا لك...

- وإن لم أفعل..

- لترجعنَّ راغباً، أو لنرجعنَّ بأكثرك شعراً[1]، وأهون بك من هالك!!!

ويتجهون إلى المطايا، يريدون أن يثيروها... فيقف عليٌّ (ع) بينهم، وبين المطايا..

وينقضُّ عليه جناح مولى حرب بن أمية، وينحني من عَلَى

(١) يريدون رأسه.

فرسه، ويهوي على رأس علي (ع) بسيفه المسموم، فيروغ علي (ع) من الضربة... ويعلو جناحاً بضربة رشيقة، فيقده نصفين، حتى يصل السيف إلى كتف فرسه..

ويرى الفرسان الثمانية أن جناحاً قد صار اثنين بضربة واحدة ومضت برقاً خاطفاً، فتنقطع قلوبهم رعباً...

ولا يترك لهم علي (ع) فرصة يتنفسون فيها من دهشتهم، بل يشد عليهم، وهو ينشد:

خَلّوا سبيلَ الجاهد المجاهدْ آليت، لا أعبد إلا الواحدْ

فينفرجون أمامه هاربين، ويمضي هو بالفواطم[1].

وينهض الأسود قائماً، وقد غلا انفعاله في صدره، ويقول: لقد انطوت قريش على كره لعلي بن أبي طالب سيجعله يتقلقل فوق طوفان من أضغانها، وبغضائها، وسوف يصحبها ذلك له ما بقي حيًّا، إذ لولاه لما استطاع محمد أن يجد إلى النجاة مسلكاً...

وينظر الأسود في وجه المقداد، فيرى فيه ليلاً قاتماً، فيسأله: هل يسؤك ما تسمع يا مقداد؟؟!!

(١) يقول الأستاذ محمد رضا في كتاب: محمد رسول الله، الطبعة الثانية - مصر، عام ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م، يقول في الصفحة (١٦٨): «ثم قدم علي ومعه الفواطم وأم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ولما وصل نزل على كلثوم بن الهدم اقتداءً بالنبي فاعتنقه الرسول وبكى رحمةً به لما بقدميه من الورم (أي من السير ماشياً) وتفل - الرسول - في يديه وأمرهما على قدمي علي فلم يشكهما بعد ذلك».

ـ إي والله، يا أبتِ!! وهل ثمة ما يسيء أكثر من هذا لقول؟؟؟

إن على قريش ـ لو وَعَتْ ـ أن تمجد علي بن أبي طالب (ع)، لأنه فعل ما فعل من أجلها... ومن أجل العالمين قاطبة...

إن رسالة محمد (ص) ستغني الكون كله بثروة حضارية مباركة... ولكنكم قوم تجهلون...

وتظهر أم المقداد غضباً وتقول: أهكذا تقابل أباك يا مقداد؟؟؟!! اصمت، فوالله لولاه لهرست قريش لحمك وعظمك هَرْساً...

ويصمت المقداد، وهو يحس أن أعصابه لهب مستعر...

أما الأسود، فإنه يشعر بكلمات زوجته تنسكب عليه لطفاً، يُخمد رعونة غضبه، فيضع يده على كتفها ويقول لها: اسجنيه هنا، وحذار أن تتركي له درباً إلى مجتمع مكة، فإن المسلمين جميعاً قد لبسوا رداء الليل، ومضوا إلى يثرب وإذا بقي منهم باقٍ، فهو: إما مختبيء... وإما متظاهر أنه مع قريش...

ويترك الأسود زوجته وابنها المقداد، ويذهب... يستطلع، ما عساه جَدَّ عند زعماء قريش من آراء...

الفصل الثاني

بـــدء الصِـــرَاع
بَـيـن الرسُـول (ص) وَقـريـش

إلتحَـاق المقـدَاد بالرَسُول (ص)

قــريش جعلت من المسلمين وقـوداً في تنــور العـذاب، والإذلال..

وقسرتهم قسراً على تَرْكِ مَراحِهِمْ... وأموالهم... وملاعب صباهم... وصادرت كل ما يملكون....

فهــل يسكت المسلمــون على ظـلم الشــرك، البــطر، المعربد؟؟؟

أيزداد أولئك البغاة تُخمةً من ثمار دمائهم، وَتَيْبَسُ عروقهم، هم، فقراً؟؟

ويأتون الرسول (ص) يقولون له: يا رسول الله!! إن حبال الشرك ما برحت آخذةً بأعناقنا، فمرنا بجهاد هؤلاء الذين لَوّنوا دماءنا بالقهر والحرمان؟؟

ويضعـون أمام الـرسول (ص) المســوغـات فيقـولـون: إن شركهم... واستعبادهم الضعفاء... وسرقتهم جهودهم، يُحل لنا جهادهم، فكيف، وقد قتلوا منا من قتلوا، وأخرجونا من ديارنا بغياً... واستحوذوا على أموالنا يأكلونها خَضْماً، وَقَضْماً؟؟

ويأذن الله لرسوله (ص) بجهاد المشركين... الظالمين...

فيجهز السرية بعد السرية، تنطلق، فتتعرض لعير قريش حيث وجدتها...

وتشمخ قريش أَنَفَةً وكبرياء... أَيَحْلُمُ محمد أن يتصدّى لها في حرب؟؟

وترسل التهديد وَيْلاً قاصفاً...

ثم يخطر لسادتها أن يُعِدُّوا جيشاً ضخماً، ما إنْ يراه المسلمون حتى يَشْرقوا بمطامعهم، وتَقِرُّ ثائرتهم..

وفي أيام قليلات يُنفذون ما خَطَرَ لهم، ويسندون قيادة الجيش إلى أحد فرسانهم المعروفين ـ عكرمة بن أبي جهل ـ.

هجرة المقداد إلى المدينة:

وفي شهر صفر من العام الأول للهجرة، يخرج عكرمة بجيشه... ويخرج معه المقداد بن الأسود، وهو بحسبه للمسلمين ضدًّا...

ويبعد عكرمة حتى يبلغ «أحياء»(١) فينزل هناك، ولكنه لم يكد يسكن... حتى يفجأه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في ثمانين راكباً يعسكرون إلى جوارهم.

ولم تمضِ ساعةٌ من نهار بعد نزول المسلمين، حتى يرى عكرمة بن أبي جهل فارساً بفصل عن جيشه، ويسير بفرسه خببا نحو المسلمين، فيثبت عليه نظره، وهو بخال أنه نزل يطلب

(١) أحياء: ماء بالحجار بأسفل ثنية المرة باحية الجحمه.

المبارزة، ولكنه يرى شيئاً لم يوشك أن يصدقه..

يرى الفارس ينضمُّ إلى جماعة المسلمين..
ويراهم عليه يحنون، وله يعانقون، وبه يرحبون.
فيصرخ، من هذا الذي تركنا، وانحاز إلى الصابئين...؟؟
ويأتيه الجواب: إنه المقداد بن الأسود(1)...

المقداد؟؟ واللات والعُزَّى لقد خدعنا، ولكنه سيقع في يدي يوماً، ولن يكون عقابه إلا أن أقط عنقه قطاً...

ثم ينصرف القوم عن القوم فلا يكون قتال(2)..
ويرجع المقداد بن الأسود مع المسلمين حَبَّة ندى على خد زهرة...
وحين يراه الرسول (ص) يفتح له ذراعيه مرحباً... ويفسح له مكاناً في دار «كلثوم بن الهدم»(3) التي يسكنها...

ويبيت المقداد ريان الجوارح، تَنْطُفُ السكينة في ضميره عبير الحبور، وفي ذلك يقول: «لمَّا نزلنا المدينة عَشَّرنا رسول الله (ص)، عشرةً، عشرة، فكنت في العشرة الذين كان النبي (ص) فيهم، ولم يكن لنا إلا شاةٌ نتجزَّأ منها، وعندما آخَى الرسول (ص) بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين عبد الله

---

(1) يقول الطبري: إن عتبة بن غزوان كان مع جيش عكرمة وإنه التحق بالمسلمين أيضاً

(2) ابن الأثير: أسد الغابة ـ الجزء الرابع ص (٤١٠ و٤١١) ط مصر ١٢٨٦هـ. والطبري: القسم الأول ـ ٢ ـ ص (١٢٦٧) ط بيروت

(3) كلثوم بن الهدم الأنصاري من بني عمرو بن عوف، كان شيخاً، أسلم قبل الهجرة. أول من مات من أصحاب الرسول ، مات قبل وقعة «بدر» بيسير.

بن رواحه[1].

ويموت كلثوم بن الهدم. فيتحول المقداد إلى دار سعد بن عبادة ، ويظل عنده حتى تُفْتَحَ قريظة[2]، ثم يُقْطِعُهُ رسول الله (ص) في بني جديلة، ويدعوه إلى تلك الناحية أبيّ بن كعب[3].

ويرافق المقداد رسول الله (ص)، إلْفَ الْفَراش الرياض الْغَنَّاء... فهو معه حيثما حَلَّ... وأينما ذَهَبَ...

كان معه حين تَوجَّهَ إلى دار أبي أيوب خالد الأنصاري الكائن في منازل بني عدي بن النجار.

وكان هناك مع المسلمين في إنشاء مسجد الرسول (ص) وقد أصبح هذا المسجد مجمعاً ثقافياً، وسياسيًّا، وحربيًّا للمسلمين[4]... و... و...

ويجوب المقداد أنحاء «يثرب» فيرى سهلاً فسيحا يسمونه «سهل المدينة»، ويرى على طرفي هذا السهل مرتفعين من

---

(١) الإصابة في التمييز بين الصحابة: ابن حجر العسقلاني ـ الحزء الثاني ص (٣٠٦) ط. بغداد.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ص (١٧٧) ط. جامعة الدول العربية ـ القاهرة (١٩٥٦م).

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، المجلد الثالث، ص (١٦١) ط. دار صادر ـ بيروت.

(٤) مسجد الرسول يفع في المدينة مكان القلب من الجسد. كانت أرصه مربدا، أي مكاناً لتجفيف التمر..

«البـازلت» الأسود[1]، وهـذان المرتفعـان يسميـان: الـلابتين والحرتين. . .

وفي هذا السهل تتناثر واحات متعددة: واحةُ قُباء، ويثرب، والسنح، وسلع. . .

ويرى قبيلتي: الأوس، والخزرج. . . واليهود من: قريظة، والنضير، تسكن واحاتٍ خاصة بها، وفي كلٍ واحةٍ يشاهد أطماً ـ حُصناً ـ، وحوله أرضٌ زراعية. . . وأرضٌ تُركت مَرْعى. . .

وبين مجالات كل قبيلة، مساحات واسعـةٌ من الأرض لا يسكنها أحد. . .

ويرى ودياناً تشق هذا السهل، وتفصل «يثرب» عن بعضها أجزاءً، منها: وادي مذينيب، ووادي رانوناء، ومجتمع الأسيال، وبطحان، والعقيق، ومهزور. . .

ويسأل عن هذه الوديان، فيقال له: إنها جافّةٌ أكثر أيامَ السَّنَة. . . أما إذا هطل مطر، فإنها تحمل الماء إلى خـارج يثرب.

الرسول ينظم يثرب [2]

ويرى المقداد الرسول (ص) يبدأ بتنظيم يثرب، فيشُق مع المسلمين طريقاً من مسجده في وسط المدينة إلى جبل سلع، ثم يُبَلِّطُهُ. .

---

(١) البازلت: صخر اندفاعي لونه أسـود وهو ثقيـل، وقاسٍ، ومقـاوم للكسر، كالجرانيت.

(٢) يثرب، اسم كنعاني. ثم سميت طيبة، وهو عربي، ثم سُميت المدينة، ومدينة الرسول أخيراً.

ويعمل مع المسلمين، على تمهيد وتسوية موضع شرقي المدينة، تغطيه الأعشاب والصخور، ويجعل منه مقبرة للمسلمين، ويسميه «بقيع الفرقد».

ثم يفتح طريقاً ثانياً من هذا البقيع إلى المسجد... ويطلب من أحد العمال الفنيين القادم من فارس، أن يبني جسراً على «وادي مذينيب»، ويمهد طريقاً ثالثاً من المسجد، ويجعله يمر وسط منازل بني النجار، حتى يصل إلى «قباء» جنوباً، وإلى واحة السنح شمالاً...

ويفرح أبناء المدينة لهذه الطرق، ويقبلون على بناء مساكنهم على جوانبها...

ويتفق الأنصار على تسمية «يثرب»: مدينة الرسول (ص).

ويسمحون له بالأراضي الغامرة - التي لا يزرعونها - أن يتصرف فيها كما يشاء، فيقسمها قطعاً... ويعطي كُلًّا من المسلمين الذين لا يملكون شيئاً قطعة يبني فيها داراً، ويشترط البناء والزرع... فإن لم يفعل خلال ثلاثة أعوام تنزع منه الأرض... وهكذا، وبمرور الأعوام تتصل يثرب ببعضها، وتصبح مدينة منظمة، متلاصقة المساكن[1]...

سَرِيَّةُ الخرّار: المقداد يحمل اللواء...

على أن عمل الرسول (ص) في البناء والتنظيم، لم يشغله

---

(١) مجلة الهلال المصريّة: عدد أيلول ١٩٧٨، ص (٢٠ و٢١) نقلاً عن كتاب (وفاء الوفا) للسمهودي، وكتاب التراتيب الإدارية لعبد الحي الكتاني ونقول =

عن المشركين... قَصَّابي الحياة.

ففي ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة (٦٢٣م) يعقد الرسول لسعد بن أبي وقاص لواء أبيض، يحمله المقداد ويبعثه في عشرين رجلاً من المهاجرين يعترض لعير قريش، إذا مَرَّتْ به، ويعهد إليه أن لا يتجاوز الخرار[١].

يقول سعد: فخرجنا على أقدامنا، فكنا نكمن النهار، ونسير الليل، حتى صَبَّحنا الخرار، صُبح خامسة، فنجد العير قد مَرَّت بالأمس، فانصرفنا إلى المدينة[٢]...

سَرِيَّة النخلة ـ المقداد يأسر الحكم بن كيسان:

وفي شهر رجب على رأس سبعة عشر شهراً من الهجـرة (تشرين الثاني ٦٢٣م)، بعث الرسول (ص) عبد الله بن جحش في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، كل اثنين يعتقبان بعيراً إلى «نخلة»[٣]، فأقام هناك كما أمر رسول الله (ص)، فمرت به عير

= مجلة الفيصل في عدد تشرين الثاني ١٩٧٧، صفحة (٣٧): إن المدينة ذات تاريخ قديم، يمتد إلى ما قبل مىلاد المسيح. وقد ورد ذكرها في الكتابات المعينية، وفي جغرافية بطليموس باسم (يثربة). وتقع المديـنة على خط (٣٩°، ٣٦ دقيقة(١) ثانية ٦١٪ من خطوط الطول، وعلى ٢٤°، ٢٨ دقيقة، ٥ ثانية، ٣٥٪ من خط العرض وترتفع عن سطح البحر بحوالى (٥٥٧) متراً ـ ٦٣٩.

(١) وادي في الحجاز يصب في الجحفة.

(٢) تاريخ الطبري: القسم الأول ـ ٢ ـ صفحة (١٢٦٥ و١٢٦٦) طبع بيروت + محمد رضا: محمد رسول الله، ص (٢٠٨) طبعة ثانية فى مصر ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م.

(٣) نخلة: بستان ابن عامر قرب مكة على بعد ليلةٍ منها.

قريش، تحمل خمراً وأدماً وزبيباً، قدموا به من الطائف، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن المغيرة، وأخوه نوفل، والحكم بن كيسان، فلما رآهم القوم هابوهم، وقد نزلوا قريباً منهم، فأجمع المسلمون على قتالهم، فرمى وافد بن عبد الله التميمي، عمرو بن الحضرمي، بسهم، فقتله... ويشد عليهم المسلمون، فيهربون، ويأسر المقداد بن الأسود الحكم بن كيسان، وفي هذا يقول المقداد: أنا أَسَرْتُ الحكم بن كيسان، فأراد أميرنا ضرب عنقه، فقلت: دعه، نقدم به على رسول الله (ص)، فقدمنا، فجعل الرسول (ص) يدعوه إلى الإسلام، فأطال، فقال عمر: علام تكلم هذا يا رسول الله؟؟!! والله لا يسلم هذا آخر الدهر، دعني أضربْ عنقه، ويقدم على أمه الهاوية... فجعل النبي (ص) لا يقبل على عمر، حتى أسلم الحكم، فقال عمر: فما هو إلا أن رأيته قد أسلم، حتىٰ أخذني ما تقدم، وما تأخرَّ، وقلت: كيف أرد على النبي أمراً هو أعلم به مني، ثم أقول: إنما أردتُ بذلك النصيحة لله، ولرسوله. فقال عمر: فأسلم، والله، فحسن إسلامه، وجاهد في الله، حتى قُتل شهيداً في «بئر معونة»[1].

(١) بئر معونة: أرض بين أرض بني عامر، وحرة بني سليم، قتل فيها المشركون، وعلى رأسهم عامر بن الطفيل، حوالي أربعين من المسلمين غدراً... راجع الطبري: القسم الأول - ٣ - من ص ص ١٤٤١ - ١٤٤٤.



وقعة بدر الكبرى

المقداد يقول للرسول (ص): امضِ لما أمرك الله فنحن معك:

البدر يتبختر في حُلَّة الليلة الثالثة عشرة، والسماء تبدو سقفاً بلوريًّا أخضر... والنجوم ترسل من منازلها أَلَقاً يكسفه نور البدر، المتدفق: طراوةً، وليناً، وعذوبة.

أما الأرض فقد تدثرت غلالةً فضية شفَّافةً، تمرح فيها عذارى الأنسام بدعاً من الرقة المنعشة.

هذا الليل الكريم، كان يضم إلى صدره بحنان «يثرب»...

وفي مثل هذا الجو الناعم، يتفتح للسمر أزهار من لطيف الأنس، فتدب الأسرار من الضمائر إلى الألسنة. . . وتنتقل هذه الأسرار من أذن إلى أذن حلاوةً، وسُلافا. . . وذلك، ما كان يحدث بين فتاتين، شابتين، كانتا تجلسان إلى جذع شجرة نخيل باسقة، غير بعيد من مسجد رسول الله (ص).

قالت دعد: أترين يا ليلى هذا الجمال الخالب، المنبجس من الأرض، والمنهمر من السماء؟؟

ـ في الحق أنها ليلة، فاضت فيها فتنة الوجود شلالات من المحاسن، ولكن، أية ليلةٍ، بل أي نهارٍ، لم يكن سُمُوًّا وجلالاً، وبَرَكةً، منذ حَلَّ بيننا محمد رسول الله؟؟؟

ـ صدقت يا ليلى، فوالله لم نر إلا الخيرات والمسرات، منذ دخل قومنا في هذا الدين الحنيف. . . لقد كُنَّا متفرقين إلى قبيليين، متباغضين: أوس، وخزرج. . وقد أصبحنا اليوم، لا أوس، ولا خزرج، بل إخوةٌ في الله، متحابين، متعاونين، معتصمين بحبل الله المتين، وتالله، لا أذكر «يوم بُعاث» وغيره، إلا كدتُ أحترق ألما لكثرة الدماء التي سُفكت من قومنا[1].

وإن هناك لنعمة أخرى، كستْنا بهاءها، بفضل هذا الدين الرحماني، هي: أنه أراحَنا من استكبار يهود بلدتنا، كانوا يروننا وثنيين. . . كانوا ينظرون إلينا نظرة ازدراء، أما اليوم فقد علوناهم بكلمة الله.

(١) راجع هذه الحادثة في المجلد الخامس عشر، ص (٣٧٥) من الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، طبع دار الفكر ـ بيروت ١٩٥٦

ـ أجل يا أختي، إنها لمكرمة هدانا الله إليها... ولكنَّ أمراً هامًّا فعله الرسول يوم وطيء أرضنا لم نذكره..

ـ ما هو؟؟

ـ المؤاخاة بين المسلمين، من: مهاجرين، وأنصار؛... كم كان قومنا رائعين، حين قسموا ما يملكون بينهم، وبين إخوتهم المهاجرين، حَقًّا، إن نسب الإسلام فوق كل نسب...

ـ ذلك عمل عظيم، لم يسبق أن عرف الناس عملاً مُبْهجاً مثله... إن فيه الدلالة النيرة على الإخلاص النقي للعقيدة التي غَسَلَ نبلها أدرانَ التفرقة... والأنانية من النفوس، فصارت نفوساً ملائكية في صور آدمية... ولكن، لا بُدَّ، ونحن في ذكر المؤاخاة، أن أسألك: لماذا لم يؤاخِ الرسول بينه، وبين أحد من الصحابة؟؟

ـ كيف؟؟ لقد آخى الرسول بين نفسه، وبين ابن عمه علي بن أبي طالب.

ـ آخى بينه وبين علي، أصحيح ما تقولين؟؟

ـ نعم، ولم هذا الاستغراب؟؟

ـ إني لأعجب، كيف خَصَّ الرسول عليًّا وحده بهذا الشرف الذي تصغر أمامه أمجاد الدنيا والآخرة؟

ـ يلوح لي أنك لا تعرفين شيئاً عن علي بن أبي طالب...

ـ أعرف أنه في زهوة الشباب، وأنه ابن عم رسول الله.

ـ وهنالك أشياء أخرى لا تعرفينها، وكنت أنا مثلك لا أعرفها، ولكنَّ أخي عبادة قَصَّ علينا حياة علي... إنها تؤلف مع قلة أعوامها، سفراً من المآثر، والروائع.

ـ ما هذا الغلو؟؟

ـ غلو؟؟ لا، يا أختِ...

ـ إذن، فأي مكرمة له يتميز بها عن غيره من المهاجرين، من أصحاب الرسول إلاَّ أنه ابن عمه؟؟؟

ـ يا أخت!! الإسلام لا يرفع أحداً لنسبه فقط، ولكن، يرفع المسلم إخلاصه للمبادىء السماوية؛... وتضحياته في سبيلها،... ولقد امتازت حياة علي بخصوصيات أَهَّلَتْهُ لأن يؤاخي الرسول بينه ، وبينه، وفي اعتقادي أن هذه الخصوصيات، وما عُرِفَ عنه من شجاعة. ستجعل له شَأْناً رفيعاً... لا يْرتقي إليهِ أَحَدٌ من أصحاب رسول الله..

فقالت في فتور هازىء: ما تلك الخصوصيات؟؟

ـ إذن، فأصغي: لقد ولدت فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب. وليدها عليًا في بيت الله الحرام[1]

---

(١) ولد علي يوم الجمعة بمكة داخل البيت الحرام في ثالث عشر المحرم ـ رَجَبَ سنة ثلاثين من عام الفِيل، قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقيل بخمس وعشرين، وقبل المبعث باثنتي عشرة سنة، وقيل بعشر، ولم يولد في البيت الحرام أحد قبله سواه» نور الأبصار: الشبلنجي الشافعي ، صفحة (٦٩) طبع مصر. وراجع عباس محمود العقاد: عبقرية الإمام صفحة (٧٨) تحت عنوان إسلام علي.

ويقول السيد محمود الآلوسي في شرح قصيدة عبد الباقي العمري تعليقاً على قوله في علي؛

أنت العليُّ الذي فوق العُلى رُفعا ببطن مكة عند البيت إذ وُضعا

يقول: وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمرٌ مشهور في الدنيا، وذكر في كتب الفريقين: السنة والشيعة».

ـ فقالت جادَّة: ولدته في بيت الله الحرام؟؟ كيف؟؟

ـ حينما أَحَسَّتْ بالمخاض، مضت إلى البيت العتيق، فوضعته هناك...

ـ إنه لشرف محلق... ويرمز إلى أشياء... لا أستطيع لها تفسيراً، إنما، من أنبأك هذا؟؟

ـ أخي عبادة بن الصامت، وأخي سمعه من مصعب بن عمير...

ـ إن مصعب بن عمير لا ترقى إليه الشبهات...

ـ وليس هذا فحسب... بل إن الله يَسَّرَ له أن ينشأ في بيت الرسول...

ـ وهذا شيء جديد لا أعرفه، ولكن، كيف نشأ في بيت الرسول؟؟

ـ لقد كفل أبو طالب ابن أخيه محمداً رسول الله، وكان عمره ثماني سنوات، فشب، في بيته... وعندما تزوج الرسول خديجة بنت خويلد، أخذ عليًّا إلى بيته، وكان طفلاً لم يتجاوز الثالثة من عمره، فترعرع في جنات النبوة خُلُقاً محمديًّا (راجع الطبري: القسم الأول ـ ٢ ـ ص /١١٦٣/) وحين هبط جبريل على محمد يبلغه: إن الله اصطفاه رسولاً، وهادياً، للعالمين، كان علي أول المصلين معه...، فأنت ترين «أن علي بن أبي

= ثم يقول: «وما أحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعُه فيما هو قبلة للمؤمنين وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين».

(راجع الشيخ الأميني: الغدير، المجلد السادس، صفحة ٢١ ـ ٣٨، طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.

طالب، ولد مسلماً على الفطرة»[1].

ـ صدقتِ، صدقتِ..

وتابعت تقول: وحين احتاج الرسول من يقدم نفسه فداءً له، ليهاجر من مكة إلى بلدتنا يثرب... لم يجد غير علي... فقد نام في فراشه،... وأنقذه من هلاك محتم، بَيَّتَتْهُ له قريش... وبعد هجرة الرسول بثلاثة أيام، يترك علي المدينة، ويجلب معه الفواطم كما أمره رسول الله... وحين وصوله يستقبله نفحة حب، ويؤاخي بينه، وبين نفسه أمام المهاجرين والأنصار[2]...

ـ يا لعلي ما أمجده!!

ـ إن قريشاً تكره عليًّا كرهاً عاصفاً لأنه أبطل ما كانت أعدته من غدرٍ بالرسول يوم هجرته...

ـ والرسول يبعث السرية بعد السرية، ترصد قوافل قريش الباغية... وحديث عبد الله بن جحش وسريته ومقتل ابن الحضرمي، وأسر المقداد بن الأسود، لابن كيسان... وإسلامه؛... هذه ما زالت تتردد في كل بيتٍ من يثرب...

ـ ولقد علمتُ أن رسول الله، يترصد عيراً لقريش، هي، في طريق عودتها من رحلةٍ تجارية إلى دمشق، ويتولى أمر القافلة أبو سفيان بن حرب الأموي، ولا يشك أحد في «يثرب» بأن

---

(١) عبد الكريم الخطيب: علي بن أبي طالب، صفحة (١٠١) طبعة ثانية (١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م) دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .

٢) العلامة محمد رضا: محمد رسول الله، ص (١٩٦) ط. ثانية ـ مصر.

معارك طاحنة ستدور بين المسلمين، والمشركين.

ـ صه، إني أسمع وقع أقدامٍ، وكأنها تقصدنا...

وتنظران معاً... فإذا رجلان قادمان من مسجد رسول الله (ص)، أحدهما طويل ممتلىء الجسم، والآخر ربع القامة، وهما يتحادثان في أمرٍ ما... ويبدو من انخفاض صوتيهما وإقبالهما على بعضهما أن الحديثَ ذو خَطرٍ عظيم..

ويدنوان منهما ببطء، فتنهض الفتاتان لتدخلا أحدَ البيوت المفتوحةِ للنسيم الرطب، وهما تسمعان صاحب القامة الربعة يَهْمِسُ لرفيقه: اشْحَذْ سيفَك جيداً يا مقداد، وأكرم فرسَك، فإن لقاءنا قريشاً في الأيام المقبلة سُيعلي كلمة التوحيد.

ـ أجل، يا أخي، يا بن رواحة، وإني لمتعطشٌ إلى لقاء قريش الظالمة، الكافرة.

* * *

وتُشرق شمسُ اليوم الثالث من شهر رمضان من العام الثاني للهجرة (٦٢٤م) تُلقي بسبائك النسرين على الكون يقظةً ونشاطاً.

لكأنها سعيدةٌ بهذا اليوم المشهود الذي ترى فيه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بقيادة محمد رسول الله، ومعهم سبعون من الإبل يتعاقبونها، يتوجّهون لملاقاة عير قريش العائدة من دمشق، والتي يتولّى أمرها أبو سفيان الأموي، ومعه سبعون رجلاً.

وترى الرسول (ص) ينظم الجيش حين ابتعد عن المدينة

«يثرب»: فَيُسَلِّم رايته إلى علي بن أبي طالب، ويُسلم رايةَ الأنصار إلى سعد بن عبادة، ويجعل على الساقة، قيس بن صعصعة أخا بني مازن من بني النجار[1].

ويمضي أفراد هذا الجيش، عَبَقاً في التاريخ، تدب الغبطة في إحساسهم، قشعريرةً لَذَّةً..

ما أسنى جذلهم!! ما أطيب نفوسهم!!

هو ذا رسول رب العالمين (ص)، يقودهم بنفسه إلى أول لقاءٍ مع المشركين، الظالمين..

إنهم، ليرون ذواتهم، لفرط حبورهم، وكأنما يرفون عقباناً فوق همسات الأنسام الحالمة...

وكانوا يشعرون شعوراً منبعثاً من خلايا القلب، أن سيوفهم الثلاثمائة، ستفتح للعرب باب التاريخ من جديد.. ليدخلوا منه إلى الدنيا، حريةً، وعدالةً، وحضارة... فتخضوضر في قلوبهم البطولات، ويزكو في سيوفهم الحماس، فيمضون وراء قائدهم الأعظم، عاصفة بأس، وطاقة عزمٍ، وحزم..

ويمر الرسول (ص) بأمكنة كثيرة، وهو في مسيرته المستأنية، لا يكاد يتلبث في أي منها إلا مقدار حَسْوِ الطائر...

ويرسل العيون إلى كل الجهات يأخذون أخبار أبي سفيان شيئاً بعد شيء... ويظل في حركته الخفيفة، الناشطة، حتى يصل إلى

---

(١) تاريخ أبي الفداء ـ المجلد الأول، صفحة (٢٩) طبع دار الفكر ـ بيروت، ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م. وراجع، أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني ـ المجلد الثالث، صفحة (٣٥)، طبع دار الفكر ـ بيروت ١٩٥٥م.

وادٍ، يقال له: «ذَفِران»، فينزل فيه، وهناك تتلاحق الأخبار لديه سلسلةً، متصلة الحلقات...

يعلم، أن أبا سفيان، كان شديد الحذر من المسلمين، فهو حين دخل أرض الحجاز، بعث بالجواسيس يترصدون المسلمين...

ويخبره هؤلاء الجواسيس، أن محمداً رسول الله (ص)، قد استنفر أصحابه لمصادرة عيره... ولكي ينجوَ من الوقوع بين يدي الرسول (ص)، فيستولي على الأموال ويشتد بها أزره، استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، وأرسله إلى مكة، يستنفر قريشاً لإنقاذ أموالها من محمد (ص) الذي عرض لها...

ويذهب ضمضم على ناقته جَناحي نَسْر... وفي صبيحة يوم، يصغي الناس، وهم غادون كُلٌّ إلى شأنه، إلى صوتٍ راعدٍ ينبعث من بطن وادي مكة، يقول: اي معشر قريش!!! اللطيمة، اللطيمة[1]... أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها. الغوث. الغوث...

وينظر القوم إليه، وهو ماضٍ في هديره... فإذا هو قَدْ قَلَبَ ثيابه، علامةَ طلب النجدة..

ويتراكض القريشيون من كل جانب... فمن هنا صوتٌ يعلو: محمد بن عبد الله عَرَضَ لأموالنا... ومن هناك أصوات تنادي: إلى السلاح، إلى السلاح... أدركوا أموالكم...

(١) اللطيمة: القافلة التجاريّة.

وتضج مكة كلها بالحركة اللهيفة، السريعة، الإبل ترحل، والخيول تسرج، ونداء الغضب، الحاقد، ينتابع في سماء مكة أمواجاً. . . أمواجاً. . .

وفي بضع ساعات، يتجمع القوم جيشاً ضخماً. . .

إنهم يقسمون ليستأصلنَّ محمداً وأصحابه. . .

ويتضاحكون هازئين: إن هذه غير عير ابن الحضرمي يا محمد بن عبد الله؟؟!!

يحدثنا ابن هشام عن تلك الهزة المفاجئة التي دهمت قريشاً فيقول: «تَجَهَّزَ الناس سراعاً، وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي، كلا، والله، ليعلمنَّ غير ذلك، فكانوا بين رجلين: إمَّا خارج، وإما باعثٌ مكانه رجلاً، وأوعبت قريش (أي خرجت كلها)، فلم يَتَخَلَّفْ من أشرافها أحد. . .. إلاَّ أن أبا لهب بن عبد المطلب، تَخَلَّفَ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكان قد لاط[1] له بأربعة آلاف درهم، كانت له عليه، أفلس بها، فاستأجره بها، على أن يجزيء عنه بعثه، فخرج عنه، وتَخَلَّف أبو لهب»[2].

وهكذا تخرج قريش تتوعد. الرسول وصحبه. .

ويعلم الرسول (ص)، أن «عير» (القافلة) أبي سفيان، سترد ماء «بدر»[3]، فيقصد بدراً، ولكن أبا سفيان يظل الغرابَ

---

(١) لاط: احتبس، واستمسك أي أنه استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له ديناً عليه. . .

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية ـ المجلد الثاني صفحة (٢٦٠ و٢٦١) طبع بيروت ١٩٧١م.

(٣) تبعد بدر عن «يثرب» مدينة الرسول (١٦٠) كيلومتراً، وكانت سوقاً للعرب =

الحذر، فيرسل «مجدي بن عمرو» يجوس الطريق المؤدية إلى بدر، فيمضي هذا، ثم يعود، فيسأله: هل أَحْسَسْتَ أحداً؟؟

ـ ما رأيتُ أحداً أنكره، إلا أني قد رأيت راكبين، قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شِنٍّ لهما، ثم انطلقا...

ويسرع أبو سفيان إلى التل الذي أشار إليه مجدي متسلِّلاً، يواري شخصه بين الصخرة، والصخرة، حتى يصل مناخ راحلتي الرجلين، فيأخذ أبعار جمليهما، فيفتُّ البعر، فإذا فيه النوى، فيقول لمجدي: هذه، والله علائف يثرب، ولا بُدَّ أن محمداً وصحبه على مسافةٍ قريبةٍ منا...

ويرجع إلى أصحابه فَرِقاً، ويلاحظ عليه رجال القافلة الاضطراب ـ يرون الصفرة في وجهه، والغصة في لسانه، فيقولون له: ما بالك أبا سفيان؟؟!!

فيهتف بهم لاهثاً: اسلكوا طريقاً غير هذا، امضوا بنا شطر الساحل، واجعلوا بدراً على يساركم. النجاء... النجاء...

ويلهبُ القوم ظهور «العير»، فتهرول مسرعةً تحت كَيِّ السِّياط... ويبتعدون... ويبتعدون... وعندما يرى أبو سفيان أنه صار بمنأى عن صولة الرسول (ص)، يرسل إلى قريش من يقول: إنكم، إنما خرجتم لتمنعوا عيركم، ورجالكم، وأموالكم، فقد نجت فارجعوا، وتبلغ قريشاً رسالة أبي سفيان، وهم في طريقهم إلى بدر، فيهمد الغضب الثائر، وتنطفىء شعلة

= يجتمعون فيه كل سنة، أما اليوم فقد أصبح مكان موقعة بدر «مدينة» وسميت مدينة بدر.

الحماس، ويعود إليهم اتزانهم...

لقد نجت العير، والرجال، والأموال، وَظَلَّلَتِ الجميع عافية السلام، وما عليهم إلا أن يرجعوا...

ولكنَّ أبا جهل بن هشام يصيح: والله لا نرجع حتى نرد بدراً، فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونُسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، وبمسيرنا، وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا»...

فقال الأخنس بن شريق الثقفي، وكان حليفاً لبني زهرة: يا بني زهرة!! قد نَجَّى الله لكم أموالكم، وخَلَّصَ لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بي جُبْنَهَا، وارجعوا، فإنه لا حاجة لكم أن تخرجوا في غير منفعة...

فرجعوا... وينطلق الباقون قُدُماً إلى بدر...

ويسمع الرسول (ص)، بمقالة أبي جهل، واستجابة قريش له... إذن، فهذه قريش، أقبلت تحمل بغيها، واستكبارها في الأرض...

فماذا يفعل؟؟

لقد خرج بالمسلمين، وقد أعدوا أنفسهم لمجاهدة أصحاب العير... أما الآن، فإن وجه المعركة قد تغير تغيراً كلياً...

كانت المعركة مع أصحاب العير سائغة الجهد، ولكنها أصبحت اليوم دَماً يتوهج بنارٍ آكلة...

ثلاثمائة رجل غذاءُ أحدهم حباتٌ من التمر الجاف، يجابهون

قُوى قريش التي تتلظّى حقداً، ولديها العدة الحربية التامة، وطعامها لحوم الجزائر الغريضة. . .

إنهًا معركة، في حساب العدد والعدة، لا وجه للتكافؤ فيها. .
ويسيح الرسول (ص) بتفكيره في مشارف الغد، وما بعده. . .
ثم يدعو المسلمين للاجتماع.

المقداد - والذي بعثك بالحق إنًا معك مقاتلون. . .

ويُحْدِقُ الصَّحْبُ بالرسول، فإذا هو يقول لهم: أشيرواعليًّ أيها الناس!!
إنه يستشيرهم في أمر الحرب - حرب قريش القادمة لحماية العير. . .
ويُغلق الصمتُ الشفاه. . .

ويضغط المقداد على الزمن، فلا يترك له أن يتنفَّسَ لحظةً، ليتأمل القوم فيما يجيبون به الرسول (ص)، بل ينهض ويقول: «ابشر يا رسول الله!!! فوالله، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. ولكنٍ والذي بعثك بالحق، إننا نقول لك: اذهْب أنت وربك فقاتلا إنًا معكما مقاتلون، ووالذي بعثك بالحق لو سرتَ بنا إلى «برك الغماد»[1] لجالدنا معك حتىً تبلغه، ولنكونَنَّ بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك وشمالك، أو يفتح الله تبارك وتعالى».

وَتبرقُ أسارير النبي (ص) فرحاً، ويدعو له بخير[2]. .

---

(١) برك الغماد: مدينة في الحبشة.
(٢) راجع، البداية والنهاية: ابن كثير - الجزء الثالث، ص (٢٦٢) طبعة أولى - =

وينظر في وجوه القوم، فيرى آثار الحميّة التي أشعلتها كلمات المقداد في العروق، تنعكس على الوجوه، إيجاباً، وقبولاً . . .

كل العيون الثابتة على الرسول (ص) تكاد تصـرخ: نعم، نحن معك يا رسول الله!!!

وفي جَوٍّ وَقْدَةِ الحماس هذه يقول الرسول (ص) ثانيةً، وعيناه على الأنصار: أشيروا عليَّ أيها الناس!!!

فيقول له سعد بن معاذ رأس الأنصار: والله، لكأنك تُريدنا يا رسول الله!!!

ـ أجل.

ـ «لقد آمنّا بك يا رسول الله، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردتَ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر، وخضته لخضناه معك، ما يتخلفُ منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، وإنا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله تبارك وتعالى يُريك ما تقر به عينك، فسر على بركة الله».

وتخضر في ثغر الرسول (ص) ابتسامةُ الرضى ويقول: سيروا على بركة الله، وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله، لكأني أنظر إلى مصارع القوم».

ويرتحل الرسول (ص) من «ذفران»، آخر محط رحالهم، وما

= بيروت ١٩٦٦ + ابن الأثير : الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، ص (١٢٠) ط. بيروت ١٩٦٥ + ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب: الجزء العاشر من ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧، ط. الهند.

يزال في سيره حتى ينزل قريباً من بدر، وفي المساء يرسل علي بن أبي طالب (ع) والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، يرودون منطقة بدر، وبينا هم في تجوالهم، رأوا رجلين، جاءا يبغيان ماء بدر فانحطّوا عليهما، وأخذوهما إلى رسول الله (ص)...

كان الرسول (ص) حين وصولهم مستغرقاً في صلاةٍ تهبُّ على الأصحاب سكينة، وتضعهم في أفياء ريانة من النعيم النفسي....

ويسألون الرجلين عندما يصلون: من أنتما؟؟

فقال أحدهم: أنا أسلَم غلام بني الحجاج، وقال الآخر: أنا غريض بن يسَّار غلام بني العاص بن سعيد، ونحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء...

ـ سقاة لقريش؟؟

وينظر المسلمون إلى بعضهم، أصحيح أن هذين سقاةً لقريش؟؟

إن في أذهانهم، أنهم سقاةٌ لأبي سفيان صاحب العير، وهذا ما يريدونه، فقالوا لهما: بل أنتما لأبي سفيان بن حرب...

وجعلهما الخوف يقولان: نحن لأبي سفيان...

وينتهي الرسول (ص) من صلاته السُّبّوحية، ويجيء الرجلين يسمع منهما... وإذا هو يقول: صدقا والله، إنهما لقريش...

ثم يتوجَّه إليهما يسألهما: أخبراني، أين قريش؟؟

ـ هم وراء الكثيب العقنقل[1].

---

(١) العقنقل: الوادي الواسع.

ـ كم القوم؟؟

ـ لا ندري، ولكنهم كثير... كثير...

ـ كم ينحرون كل يوم؟؟

ـ يوماً تسعاً، ويوماً عشراً..

وينظر الرسول (ص) إلى أصحابه ويقول: القوم بين التسعمائة والألف... ثم يقول للغلامين: من فيهم من أشراف قريش؟؟؟

ـ عتبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحرث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحرث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل هشام بن الحكم، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن ود... و... و...

ومرة ثانية ينظر الرسول (ص) إلى أصحابه مستبشراً ويقول: «هذه مكة قد رَمَتْ إليكم بأفلاذ أكبادها»...

ويدركون إذ ذاك، أن أبا سفيان قدفاتَهُمْ،... وأنهم أصبحوا وجهاً لوجه مع قريش التي أبطرها الترف، ونفخ فيها الشرك دغله[1]...

ويرى الرسول (ص) أن يسبق قريشاً إلى ماء بدر، فيخرج بأصحابه حتى يحاذي ماءً من مياه بدر، فينزل فيه... ثم لا يلبث أن ينهض بهم عملاً برأي المنذر بن حباب، حتى يأتيَ أدنى ماء من مياه القوم، فينزله.... ثم يُعوِّرُ[2] ما سواه من القُلُب[3]، ويبني عليه حوضاً، فيملأه ماءً، فيشرب المسلمون ولا تشرب قريش...

---

(١) دغله: فساده.

(٢) يعور: يردم.

(٣) القُلب: جمع قليب، آبار الماء.

ثم يبني المسلمون للرسول (ص) عَريشاً من جريد ينزل فيه(١).

وفي الصباح يرى رسول الله قريشاً، تُصَوِّبُ(٢) من الكثيب إلى الوادي، وحين يراهم، يدعو قائلاً: «اللهم!!! هذي قريش، أقبلت بخيلائها، وفخرها، تحادُّك، وتكذب رسولك، اللهم!! فنصرك الذي وعدتني. اللهم!! فاحنهم «الغداة»، ويرى الرسول (ص)، «عتبة بن ربيعة» بين القوم على جمل له أحمر، فيقول، إن يكنْ عند أحد منهم خير، فهو عند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه، يرشدوا».

وتنزل قريش عدوة الوادي القصوى(٣) والمسلمون في العدوة الدنيا(٣)... ويجيء القريشيون يردون الحوض الذي بناه المسلمون، فيأمر الرسول (ص) بأن يخلّوا بينهم، وبين الماء...

ويقضي الفريقان يوم الخميس السادس عشر من شهر رمضان، في قَلَقٍ، وحذر... ويبيتان يستعدان للمعركة...

ويشرع كُلٌّ من قادة الفريقين يتلمس المعاذير لنفسه في إيقاد نيران الحرب..

---

(١) عريش: خيمة، وكان بناء هذا العريش أول عمل يقوم به العرب لقائد، وهو بمثابة غرفة العمليات الحربية في زمننا هذا، وقد أصبح اليوم مكانه مسجداً يسمّى «مسجد العريش».

(٢) تصوب: تنحدر.

(٣) عُدوة الوادي: شاطئه. ﴿إذ أنتم بالعُدوة الدنيا (من الوادي. أي القريبة من المدينة) وهم بالعدوة القصوى (من الوادي. أي: البعيدة منها)﴾ (الجليلين) سورة الأنفال آية (٤٢).

كان الرسول (ص) على صراطٍ واضحٍ من أمره، فهو حين يضطر لحرب قريش، إنما يحاربها، لبغيها... وشركها... وطبقيتها المستغلّة؛... المستعبدة... إنه يحاربها ليذيق الناس حلاوة الإيمان... ويحقق لهم: الحرية، والمحبة، والإخاء، والمساواة...

وسادة قريش إنما يحاربون الرسول (ص) إبقاءً على نظام: السادة والعبيد...

الاحتكار... الربا... منازعهم الارستقراطية للسيطرة على اقتصاد مكة... كل واحدةٍ من هذه المشتهيات تضع في أيديهم سيفاً قاطعاً، ليحاربوا حتى النسمة الأخيرة من حياتهم...

أما الآلهة: هُبَل، واللات، والعُزّى... و... و... فقد كانت شيئاً ثانويًا في حسابهم، وهم يرفعون لواءها تضليلاً للآخرين... ولو ترك لهم الرسول (ص) أن يتمرغوا في شهواتهم الجسدية، والنفسية، لأصبحوا من أنصاره الصادقين المؤمنين...

كان كُلُّ فريقٍ ينصاع لرغباته الذاتية التي يرى فيها مباهج الحياة التي يهواها..

وينام المسلمون، وفي قلوبهم عهدٌ لله ورسوله أن يحاربوا حتى يتقصّف بنيانُ الشرك...

وَلِمَ لا يحاربون، وهم بين إحدى الحسنيين: إما استشهادٌ في سبيل الله يحملهم إلى الملأ الأعلى، حيث الصفاء المنقّى من لفحات الأكدار... وإما نصر مؤزر على العدو الظالم، الكافر، يمهد لإنشاء مدنية الإسلام الفاضلة...

ويُطل القمر، وهو في السادسة عشرة من عمره، قانَي الوجه،... قد عَنُفَتْ عليه الليالي، فمسحت ما يشبه القلامة... من دائرته الفضية، فيظهر، وكأن به تشويهاً... فينظر إليه رجُلٌ من المسلمين، يتعهد فرساً له شقراء، يعدها لمعركة الغد، ويقول: أنت خالد أيها القمر...!!، وستكون معركة الغد خالدة،... وعندما تشرق غداً، ستراني هنا: إما جثة هامدة يعلوها التراب... وإمَّا حيًّا، قد استحال بسمةَ من ضياء لا تقل عن نورك إشراقاً...

ويعلو صوت خفيض من قرب، ينادي هذا الفارس الذي يُسامِرُ القمر قائلاً: يا مقداد!! إلى النوم يا مقداد!! فإن لجسدك عليك حقًّا كما قال رسول الله (ص)...

فيقول المقداد: سمعاً لك يا علي، وصدق رسول الله...

وفي معسكر قريش ظَلَّ قلبٌ ساهر تتناوشه الهواجس... كان ذلك قلب عتبة بن ربيعة، سيد قريش، في هذه البرية البعيدة عن العمران...

كان الرجل، كأنما يسير في ضباب كثيف لا يَتَبَيَّنُ شيئاً أمامه...

لقد نَجَتْ أموالهم من محمد بن عبد الله، فلماذا يحاربونه؟؟..

ويتوجَّعُ قائلاً: لولا أبو جهل، لَعُدنا كما عاد بنو زهرة... وانتهتِ الأمور إلى سَلام...

إنّنا قسونا على محمد ذي القرابة القريبة، حتى كدنا نسحق فيه العظم، فَلِمَ كل هذا البغي، والعدوان؟؟؟

لماذا لا نذره وشأنه، فإن كان صادقاً ـ وَكُلُّنـا يعلم أنه لم يكذب قط ـ وانتصر على العرب، فنحن أولى الناس بالإيمان بنبوته، ومبادئه... وإن انتصروا عليه، نُكْفى أمره... وينتهي ما نخشاه...

ويعود بخاطره إلى مكة، ويتـذكر «رؤيـا» عاتكـة بنت عبد المطلب...

ويتذكر قدوم ضمضم بعد رؤيا عاتكة بثلاثة أيام،... ويدع لخياله أن ينفلت ليصوِّر لَهُ عاتكة تقص عليه منامهـا فتقول: «رأيتُ راكباً يقبل على بعير له حتى يقف بالأبطح، ويصرخ بأعلى صوته أن :انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث... وترى الناس يجتمعون إليـه، وهو يـدخل بيت الله الحـرام، والناس يتبعونه... ثم تراه يصعد ببعيره على ظهر الكعبة، ثم يصرخ بأعلى صوته: انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث، ثم يمثل به بعيره على رأس «أبي قبيس» فيصرخ بمثلها، ثم يأخذ صخرةً، فيـرسلهـا، فَتُقبـل تهـوي، حتى إذا كـانت بـأسفـل الجبـل، ارفضّت[1]، فما يبقى بيتٌ من بيوت مكة، ولا دارٌ من دورها، إلاّ وتدخله منها فَلْقَةٌ»

ثم يسأل نفسه بعد أن سمع آخر كلمةٍ من منامها: من هم «آل غدر» الذين يطلب إليهم هذا الراكب أن ينفروا...؟؟؟؟

هل هم... ويقف، فلا يكمل سؤاله... إنـه يخشى أن يقول الكلمة الثالثة... بل، هو لا يريد أن ينطق بها...

---

(١) أرفضت: تحطمت وتفرقت، أرفض الشي: تفرق وذهب، ومنه أرفضّ الناس عنه: أي تفرقوا.

وينتفض الرجل محاولاً أن يُبعد شَبَحَ أفكاره المذعر عن خاطره... ويتقلب يميناً، ويساراً... ثم تعود إليه هواجسُه... فيتأمل في شأن قريش واستنفارها... ويقول: لقد نفرنا بعد ثلاثٍ من رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب... وقد والله اعْتَزَمْنا الغدر بمحمد مراراً كثيرة... فهل تكون مصارعنا هنا؟؟؟

ولكن، أفٍّ من أبي جهل؛.. يقولها مُتَحرقاً... وَتَتَقَلَّبُ به الوساوس، والهواجس كل مُنْقَلَب... وأخيراً تأخذه سِنَةٌ من النوم، وهو في حالٍ مرهقٍ من: الضياع،... والشتات... والتمزق النفسي...

ويستيقظ صباحاً باكراً على صوت مؤذن المسلمين ينادي بصوت مبلَّلٍ بنضارة الرقة: الله أكبر. الله أكبر...

المعركة الكبرى:

وتَهُل شمس يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة (٦٢٤)م، تِهُلُّ لِتَحْتَضِنَ مفاجآت خاطفة... ترفع للحرب راية الشفق الحمراء...

فهذا «عمير بن وهب الجمحي» يطوف بفرسه حول معسكر المسلمين، يدرسه بنظرات، متأنيات، حادة... ثم يعود إلى القريشيين ليقول لهم: إنهم ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلاً، أو ينقصون قليلاً...

فيقول هؤلاء هازئين: ثلاثمائة رجل، ونحن ألف، لن يلبثوا أمامنا إلا ساعةً من نهار...

ويبلبل قادة قريش قول عمير: ولكن، أمهلوني، حتى أنظر، أللقوم كمين أو مدد؟؟؟

وينطلق في الوادي بعيداً، يُفَلِّي ببصره كل صخرة، كل منعطف، كل وهدة، فلا يُبصر شيئاً يريبه، فيرجع إليهم يقول: لم أرَ شيئاً، ولكن، يا معشر قريش!! قد رأيت الولايا[1] تحمل المنايا[2] ـ نواضح «يثرب» تحمل الموت الناقع، قومٌ ليس لهم منعةٌ، ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله، ما أرى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم، حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك؟؟ فَرَوْا رَأْيَكُمْ...

ويسمع حكيم بن حزام كلمات عُمير فيرتعد، وَيَتَخطّى الناس حتى يأتِي عتبة بن ربيعة، فيقول له: يا أبا الوليد!! إنك كبير قريش الليلة، وسيدها، والمطاع فيها، فهل لك إلى أمرٍ، لا تزال تذكر منه بخيرٍ إلى آخر الدهر؟؟

ـ وما ذاك يا حكيم؟؟

ـ ترجع بالناس، وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي.

ـ قد فعلتُ، وأنت على ذلك شهيد، إنما هو حليفي، فَعَلَيَّ عَقْلُه[3]، وما أصيب من ماله، فَأْتِ ابن الحنظلية (أبا جهل)، فإني لا أخشى أن يسحر الناس سواه..

ثم قام خطيباً في الناس فقال: يا معشر قريش!! والله ما

---

(١) الولايا: ج وَلِيَّة ـ مؤنث ولي: البرذعة.

(٢) المنايا: ج مية: الموت، ونواضح: ج، ناضحة: البعير، يقول لهم: إنه رأى إبل يثرب تحمل الموت، أي الأبطال الأشدّاء..

(٣) العقل: الدية، أي أنه يدفع «ثمن» دمه لأهله ..

تصنعون أن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً .. والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل منكم ينظر في وجه رجل يكره النَّظَـرَ إليه... رجل قتل ابن عمه، وابن خاله، ورجلاً من عشيرته، فارجعوا، وخلّوا بين محمد، وسائر العرب، فإن أصابوه، فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك، ألْفاكُم ولم تعدموا منه ما تريدون».

وَيَخِفُّ حكيم بن حزام إلى أبي جهل، يعرض عليه رأيَ عتبة بن ربيعة، فيقول أبو جهل بانفعال متكبر: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه...

ويبعث أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي، شقيق عمرو، يأمره أن ينشدَ حقوقه، ومقتل أخيه، فيقوم عامرٌ هذا، وينادي بنداء الجاهلية الأولى: واعمراه!!... واعمراه!!....

فيحمى الناس للحرب... ويشرع القريشيون بالاستعداد... وفي الوقت نفسه كان الرسول (ص) يعبىء المسلمين صفوفاً متراصة[1] لمواجهة المشركين إذا عزموا حرباً...

ويقسم الأسود بن عبد الأسود المخزومي، قبل أن ينتهيَ الرسول (ص) من تسوية الصفوف، ليشربنَّ من حوض المسلمين... ويشرع سيفه، ويمضي مستهتراً عنيداً ليبرَّ بقسمه:..

---

(١) متراصة: متضامة، ملتصق بعضها ببعض، وكانت أول مرة في تاريخ العرب، يرتب الجيش صفوفاً متلاصقة، بدلاً من القتال الفوضوي السائد في ذلك الزمن، والذي كان يعتمد الكر والفر...

وعندما يخطو الأسود شطر الحوض، يبلغ عتبة قول أبي جهل... فإذا نخوتُه الجاهلية تهَيجُ في كبده... إذا هو ينسى كل شيء... ويستحيل من حكيمٍ، يعالج الأحداث بمنطق الوعي، إلى جاهلٍ عِرْبيد... إذا هو يقول: أيُعيرني أبو جهل بالجبن؟؟

سيعلم من ينتفخ سحره، هو، أَمْ أنا؟؟

ثم يطلب بيضة يغطي بها رأسه... ولما لم يجد... لِعِظَمِها... يعتجر[1] على رأسه ببرد له، ثم يخرج للمبارزة بين: أخيه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة...

وقبل أن يفصلوا من صف قريش، يرون الحمزة بن عبد المطلب، يخرج إلى الأسودِ المخزومي، فيقتله في الحوض... فتتورم حمية عتبة، ويسرع إلى الميدان يطلب المبارزة..

ويخرج إلى عتبة وأخيه وابنه ثلاثة من شبان الأنصار هم: معوِّذ، وعَوَذ ابنا الحارث، وعبد الله بن رواحة، فيقول لهم عتبة: من أنتم؟؟

- رهطٌ من الأنصار...

- ما لنا بكم حاجة... هم لا ينازلون الأنصار، لأنهم، لا يرونهم أَكْفاءً لَهُمْ، ولذا ينادي مناديهم: يا محمد!! أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا..

وينادي الرسول عمه حمزة بن عبد المطلب، وابن عمه علي بن

---

(١) اعتجر: لفَّ عمامته، ومنه المعجر: ثوبٌ تشده المرأة على رأسها.

أبي طالب، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، ويحدثنا ابن هشام عن هذه المبارزة فيقول: «فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال علي (ع): علي، وقال حمزة: حمزة...

قالوا: نعم، أكفاء، كرام...

فبارز عبيدة وكان أَسَنَّ القوم عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي (ع) الوليد بن عتبة... فأما حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله، وأما علي (ع) فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أَثْبَتَ (جرح) صاحبه، وكر علي (ع) وحمزة بأسيافهما على عتبة، فذفّفا عليه (قتلاه)، واحتملا صاحبهما، فحازاه إلى أصحابه»[1]...

ويرى القريشيون أربعةً من أشرافهم الأبطال يخرون صرعى في دقائق معدودات، فيتنادون إلى الزحف على المسلمين...

ويطلب الرسول (ص) من أصحابه، أن لا يزحفوا إلى حين يأمرهم،... ثمَّ يُوزِّع بينهم «كلمة السر» ليتعارفوا بها، إذا اختلطوا بالمشركين أثناء القتال، وكانت «أحد. أحد»[2]: ثم يقول لهم: إذا اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل...

فيثبتون في مكانهم... ويرشقون المشركين بصيِّبٍ من النبال الهادرة... فيهدأ الزحف، ويلجأ أولئك إلى سهامهم يرمون

(١) ابن هشام: السيرة - المجلد الثاني، صفحة (٢٧٧)، ط. ثالثة - بيروت ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

(٢) كانت أزياء المشركين والمسلمين متشابهة، فوضع لهم الرسول «كلمة» يتعارفون بها دفعاً للالتباس، فكانت أول كلمة للتعارف في تاريخ العرب...

المسلمين، فيقتلون رجلين منهم هما: مهجع مولى لعمر بن الخطاب، وحارثة بن سراقة من بني عدي بن النجار، فيخرج الرسول (ص) عند ذلك من العريش، يحرض المسلمين على القتال، ويأمرهم بالزحف، ويقول: والذي نفسي بيده، "لا يقاتلهم اليوم رَجُلٌ فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة...

ويطير المسلمون إلى جحيم المعركة، وكأنهم أرميةُ الحميم...
ويهتف أحدهم، وهو عمير بن الحمام، وكان في يده ثمرات يشد بها صُلْبه...: بَخٍّ، بخ، أما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟؟؟

ويقذف بالتمرات من يده، ويأخذ سيفه ينقض به صاعقة على «قريش المشركة»، وهو يرتجز:

ركضاً إلى الله بغير زادِ إلا التقى، وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زادٍ عرضة النفاد
غير التقى، والبر والرشادِ

وما يزال يضرب بسيفه، فيجرح، ويقتل، حتى نَعَّمَ الله نفسه بالشهادة...

ويتقدم ثانٍ إلى رسول الله (ص) يقول له: ما يرضي الرب من عبده؟؟

ـ غمسه يَدَه في العدو حاسراً...

فينزع عنه درعه، ويرمي بها بعيداً، ويشهر سيفه لفح سموم، يكسح به المشركين، وما يزال يصول، ويجول حتى يُكَفَّن بنور الشهاد...

ويأخذ الرسول (ص) حفنةً من الحصباء، ويقذف بها مشركي قريش، ويقول: شاهت الوجوه، ثم يقول للمسلمين: شدوا عليهم، وتشهد بدر وثباتِ البطولات البكر...

تشهد سروات الأبطال يقتحمون غاب الموت، وهم يزأرون: أحد. أحد. فإذا الرؤوس تتهاوى، والأوصال تبتر، والأجساد تنزف معيناً من الدماء...

وتمر الساعات هولاً صادعاً... ثم تنجلي المعركة الطاحنة عن قريش المتغطرسة، تعطي ظهورها للمسلمين، بعدما تركت وراءها سبعين قتيلاً، وسبعين أسيراً... بينهم معظم أشراف قريش الذين خاضوا غمرات المعركة، وفي طليعتهم عدو الإسلام الأول أبو جهل[1] أما أبو لهب عدو الإسلام الثاني فإنه يموت كمداً بعد وقعة بدر بتسعة أيام ويخسر المسلمون أربعة عشر شهيداً...

ويلاحظ الرسول (ص) أن سعد بن معاذ يكره أن يأسرَ المسلمون المشركين، فيقول له: لكاأنك تكره ذلك يا سعد!!

ـ أجل يا رسول الله، أول وقعة أوقعها الله بالمشركين، كان الإثخان أَحَبُّ إليَّ من استبقاء الرجال[2].

---

(١) اشترك في قتله ثلاثة، معاذ بن عمرو بن الجموح ضربه فقطع رجله، ثم مَرَّ به معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رمق، ثم جاء ابن مسعود، فداس عنقه وقطع رأسه، ابن الأثير: الكامل ـ جـ ٢، ص ٨٣، ط. بيروت.

(٢) راجع ابن الأثير: الكامل ـ الجزء الثاني، ص (٨٢) ط. بيروت ١٩٥٥، وراجع ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج ـ المجلد الثالث ـ الجزء ١٨ و١٩، ص (٥١٩) طبع دار الفكر ـ بيروت ١٩٥٤، وراجع، صابر محمود

ويتحدث الأستاذ عبد الحميد جودة السحار في كتابه «غزوة بدر» عن أبطال بدر فيقول: «وراح علي بن أبي طالب يفعل بقريش الأفاعيل، فما من بيت شَرَفٍ في قريش، إلا وقد قتل منه رئيساً... فكان فتى بدر[1].

وتنتهي «معركة بدر». وقد أرْسَتْ في قلب الزمن أعمدةَ صرح الإسلام المقطوعة من جبال الخلود الخضراء...

وترسم هذه المعركة في رحم الغيب جنين الحضارة العربية ـ الإسلامية، التي امتدَّتْ قروناً طويلة من نهر «الغانج» في الهند شرقاً، إلى نهر «المانج» في أوروبا غرباً، ويسمي القرآن الكريم، يوم بدر، يوم الفرقان[2].

ويُدَوِّنُ تاريخ الإسلام أخبار هذه الواقعة، وسوف يأخذ بألباب الناس ـ ما بقيَ الناس ـ حينما يقرؤون ملحمة بدر رجلان هما: علي بن أبي طالب (ع) الذي برز سِرًّا بطولياً مدهشاً إذ بلغ عدد الذين قتلهم، وشاركَ في قتلهم النصف...

«وقتل جملة المسلمين والملائكة النصف الآخر»[3].

= خريج الجامع الأزهر في كتابه: سعد بن معاذ سيد الأوس، صفحة (١١) حيث تراه يقول: ولما انتهت المعركة بالنصر المبين، وتَمَّ فداء أسرى المشركين، أنزل الله آياته مؤيدةً لرأي سعد بن معاذ، فقال سبحانه: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ (الأنفال: آية ٦٧)، ورغم ثبوت ذلك لسعد فإن البغض ينسبونه لعمر بن الخطاب.

(١) عبد الحميد جودة السحار: غزوة بدر صفحة (٦٥ و٦٦) دار الطباعة، مصر.

(٢) سماه يوم الفرقان لأن الله نصر فيه الحق على الباطل، وفرق بينهما.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح النهج ـ المجلد الأول ـ الجزء الأول، صفحة (٨) طبع دار الفكر ـ بيروت، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م.



والمقداد بن الأسود الكندي.

يقول عبد الله بن مسعود: «شهدتُ من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إليَّ مما في الأرض من كل شيء».

«كان رجلاً فارساً، وكان رسول الله إذا غضبَ احْمَرَّتْ

وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك الحال فقال له: ابشر، يا رسول الله!!! فوالله، لا نقول لك، كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون، ولكننا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون.

فرأيتُ النبي أشرقَ وجهه، وسره ذلك»[1].

المقداد يبدأ المعركة بروح بطولي مترعٍ بالإخلاص، والإقدام على التضحية... وَيُؤَجِّجُ في حنايا الصدور جذوة الحماس... ويَسْتَلُّ منها التردد والخوف،... ويجعل المسرة تنضر وجه رسول الله (ص)...

وقد كان في جوف المعركة على فرسه «سَبْحة» سيلاً دفّاقاً، ما وقف أمامه فارس إلا حَطَّمَه....

وأخذ أسيراً النضر بن الحارث الذي كان من قمم قريش في عداوته لله ورسوله (ص)[2].

كلاهما: علي بن أبي طالب (ص)، والمقداد بن الأسود الكندي، استوى في التاريخ الإسلامي، جدول عبير تتطيب منه البطولات، والإخلاص للمبادىء والعقائد...

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ـ الجزء الأول، ط. ١، في الهند، ص (١٦٧ و١٦٨) نقلاً عن مسند الإمام أحمد بن حنبل، وراجع ابن الأثير: الكامل: المجلد الثاني، صفحة (٧٣) طـ بيروت ١٩٦٥ + البخاري: الجزء الخامس: ص (٩٣) مطابع الشعب ١٣٧٨هـ.

(٢) قتله علي بأمر الرسول.

معركة أُحــد [1]

وتـرجـع قــريش من بـدر فلولاً مُشَلَّعَــة ينتهبهـا الــذعـر والذهول. . .

وفي مكة يجتمع شمل تلك الفلول. . .

وهناك يلتفتون إلى مجالس القادة في ناديهم. . .

القـادة الذين كـانوا عيـون المجالس شـرفـاً. . . وعنفـوان حَميَّة. . .

فيرونها خاوية. . . ترهق وجوهها غبرة الأحزان. . .

أين أولئك الغطارفة؟؟

لقد حصدتهم سيوف الله في بدر. . .

يا لَمَكَّة ما أتعسها!! إنها تبدو، وكأنها لوحةٌ شوهاء، دامعةٌ، دامية. . .

أهكذا، وفي مثل أنة الأوتار، يغدو السادة الأعلون جيفـاً غارقة في أوحالِ البلى؟؟

إنها لفاجعة زرقاء نشرت بؤسها على كل بيتٍ في مكة.

هذا حلم ابنة عبد المطلب الذي هزيء منـه أبو جهـل، وَتَغَامَزَ له الآخرون، يُصبح حقيقة. . .

وتنسكب الدموع من العيون عساها تُلَطِّفُ من حَرِّ الأسى المتغلغل في كل جارحة.

---

(١) يقول ابن كثير في الجزء الرابع من البداية والنهاية ص (٩): سُمي أحد، أحداً، لتوحده من بين تلك الجبال. . .

ويرتفع للنواح راية سوداء، تظلل سماء مكة، فتجعل من نهارها ليلاً...

ويأتي أبو سفيان، وقد أصبح سيد قريش، فيصرخ: لا، لا تبكوا عليهم، فيشمت بنا محمد وصحبه، ولكن تأهبوا للأخذ بالثأر...

وهذه الأموال التي خلصنا بها من محمد، تعالوا نرصدها للمعركة القادمة...

وتعجبهم مقالة أبي سفيان، فيهدأ الرنين... وتيبس الدموع في العيون... لتتحول إلى كبتٍ يتفاعل مع العواطف المشبوبة فيولِّد حقداً شرساً ضارياً...

ويروح أبو سفيان يهيء للحرب القادمة العُدَدَ والعتاد...
وتذهب الأيام بطيئاتٍ حَزَانى..
ويخيل لقريش: أن كل يومٍ يمر ينفث دخاناً حارًّا تمتصُّه خلايا القلوب، فتختنق؛... تحترق... نبضةً... نبضةً.

وفيما يلي يقدم إلينا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صورة تكشف لنا عن معاناتهم النفسيَّة في كَبْحِ أحزانهم فيقول: «كان الأسود بن عبد يغوث، قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن الأسود، وكان يحبُّ أن يبكيَ على بنيه، فبينا هو كذلك، إذ سمعَ نائحةً من الليل، فقال لغلامٍ له، وقد ذهب بصره: انظر، هل أحل النحب؟؟

هل بكت قريش على قتلاها، لَعَلِّي أبكي على أبي حكيمة، فإن جوفي قد احترق؟؟؟

فلما رجع إليه الغلام قال له: إنما هي امرأة تبكي على بعيرٍ لها أضلَّته، فقال:

أتبكي أن يضل لها بعيرٌ ويمنعها من النوم السهـودُ
فلا تبكي على بِكْرٍ، ولكن على بدر تقاصرتِ الجدود
على بدرٍ سراة بني هصيصٍ ومخزومٍ، ورهط أبي الوليد
وَبَكِّي، إن بكيت على عقيلٍ وبكي حارثاً أسَدَ الأسود
وبكيهم، ولا تسمي جميعاً فما لأبي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجالٌ ولولا يوم بدرٍ لم «يسودوا»(١)

وبعد أن تَتَحرَّقَ الأفئدة كبتاً، وكمداً تسمح قريش بالبكاء...

فتتفجر مكة بُركاناً فوَّاراً بالدموع، والآهات، والحسرات...

* * *

وتتابع الليالي مسيرتها الزمنية حَتَّى تصبح أشهراً... وشرر الحقد القابع في خبايا الضمائر، يثور بين حين، وآخر، يحض على قتال رسول الله (ص)...

وسادة قريش، لم يكونوا نُوَّماً خلال هذه الأشهر... بل كانوا يُعدون للقاء المسلمين أخشن ما يستطيعون من قوة...

ثم ينحبك رأيُهم، على أن يضيفوا لقوتهم مدداً يصبحون معه أربى عزماً... فيبعثون إلى القبائل العربية يستنصرونها على نبي الهدى (ص)، وفي ذلك يقول الواقدي: «فأَجْمَعَ القريشيون،

(١) راجع، الطبري: القسم الأول، صفحة ١٣٤٢، و١٣٤٣، ط. مكتبة خياط ـ بيروت.

على أن يبعثوا أربعةً من قريش، يسيرون في العرب يدعونهم إلى نصرهم؛ فبعثوا عمرو بن العاص، وهبير بن وهب، وأبا عـزة الجمحي[1] فخـرجـوا، فـألَّبـوا العـرب، وبلغـوا ثقيفـاً فأرغبوا[2].

وفي أقل من عام، تمكن المشركون من قريش أن يُجهزوا حملةً قوامها: ثلاثة آلاف رجل، منهم سبعمائة يلبسون الدروع، ومئتا فارس، وثلاثة آلاف بعير - خرجوا بهذه القوة الضخمة ليغزوا المسلمين. . . وأخرجوا معهم نساءهم كي يحرضن على القتال. . . وليثبتوا، فلا ينهزمون، ويتركونهنَّ سبايا. . .

وعندما يصلون «الأبـواء»[3] حيث مدفن السيـدة آمنة بنت وهب، والـدة رســول الله (ص)، يــرى بعضهم أن يَنْبُـشَ قبرها. . . فيحمل أبو سفيان هذا الرأي إلى وجوه القوم. . . ويقول: «إن النساء عورة، فإن يصب محمد من نسائكم أحداً، قلتم: هذه رمة أمك، فإن كان بَرًّا بأمه، كما يزعم، فلعمري، ليفاديكم برمة أمه، وإن لم يظفر بأحدٍ من نسائكم، فلعمري ليفدينَّ رمة أمه بمال كثير».

ولكنَّ أهل الرأي منهم يقولون: لا تذكر من هذا شيئاً يا أبا سفيان، فلو فعلنا، نبشت بنو بكر، وخزاعة موتانـــا، فرفض الرأي . . .

(١) أبو عزة الجمحي، أسره المسلمون يوم بدر، وعفا عنه رسول الله، معاهده أن لا يحاربه، ثم نكث العهد.

(٢) راجع، ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة - المجلد الثالث، ص (٥٤١ و٥٤٢) ط. دار الفكر - بيروت + ابن هشام: السيرة النبوية - المجلد الثالث، ص (٦٤) ط. ثالثة - بيروت ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

(٣) الأبواء: مكان يقع بين مكة والمدينة المنورة.

وفي يوم الخميس لخمسٍ خلون من شهر شـوال، كانت قريش «بذي الحليفة»، وفي هذا اليوم يمضي على خروجهم عشرة أيام من مكة... وينزل فرسانهم (بالوطا)...

وفي الوطا يشاهد آنس، ومؤنس ابنا فضالة اللذان بعثهما الرسول (ص) عيناً على المشركين ـ يشاهدان قريشاً، فيرجعان إلى «يثرب» يخبران رسول الله (ص).

ويترك المشركون إبلهم ترعى زروع الأنصـار هناك، حتى تذرها وما بها خضراء...

وتوصف للرسول (ص) كثرة المشركين... وما معهم من خيول، وإبل، ونساء، فيعرف عدد رجالهم... ويعرف الغاية التي أرادوها من إخراج النساء معهم...

ويقدم سلمة بن سلامة على الـرسول (ص) يـوم الجمعة يخبره: أن عشرة من طلائع فرسان المشركين، أغاروا عليه، وهو «بالعرض» وأنه ثبت لهم على مكان مرتفع يرشقهم بالنبل حيناً، وبالحجارة حيناً، حتى انصرفوا...

ويسرع وجوه الصحابة إلى الرسول (ص) يتدارسون معه خطة لقاء «قريش المشركة»، فيطلب، أن يُبديَ كلٌّ منهم رأيه...

وتتشعب الآراء، وتختلف، فبعض ذوي السن والتجربة منهم يرون: أن يظلوا في «يثرب»، فإذا دخلها عليهم المشركـون صادوهم من أسطحة المنازل، ومن الحصون، كما تصاد حمر الوحش، وأعادوهم خاسئين...

وأما الشبان، وقليـل من ذوي السن، فيرون أن يخرجوا للقائهم...

قـال إياس بن أوس بن عتيك، وهو يمثل طموح الشباب، ونخوته: يا رسول الله!! لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها فتقول: حصرنـا محمداً في صيـاصي[1] يثرب، وأطمهـا[2]، فتكون هذه جرأة لقريش، وقد رعوا زروعنا، ووطؤوا سَعَفنا[3]، فإذا لم نذبَّ عن عرضنا، فلم نَدَّرِع؟؟

ولقد كنا في جاهليتنا يا رسول الله، والعرب يأتوننا، فلا يطمعون بهذا منا، حتى نخرج إليهم بأسيـافنا، ونحن اليـوم أَحَقُّ، إذ أمدنا الله بك، وعرفنا مصيرنا، لا نحصر أنفسنا في بيوتنا».

ويقوم أبو خيثمة، أبو سعد بن خيثمة، وهو يمثل رأي بعض الشيوخ فيقول: يا رسول الله!!

«إن قريشاً مكثت حولاً تجمع الجموع، وتستجلب العرب في بواديها، ومنْ اتَّبعها من أحابيشها، ثم جاؤونا، وقد قادوا الخيل، واعتلوا الإبل، حتى نزلوا بساحتنا، فيحصروننا في بيوتنا وصياصينا، ثم يرجعون وافرين، لَمْ يُكْلَموا، فيجرؤهم ذلك علينا، حتى يشنوا الغارات علينا، ويصيبوا أطلالنـا، ويضعوا العيون والأرصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجتريء علينا العرب حولنا، حتى يطمعوا فينا، إذا رأونا لم نخرج إليهم، فنذبهم عن حريمنا، وعسى الله أن يظفرنا بهم، فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الأخرى، فهي الشهادة».

---

(١) صياصي: حصون.

(٢) أطم: الحصن، وجمعها: آطام.

(٣) سعفنا: نخيلنا.

ويمضي ملقياً بكلماته وقوداً في الإحساس فيقول: «لقد أخطأتني وقعة بدر، وقد كنت عليها حريصاً، لقد بلغ من حرصي، أن ساهمتُ ابني في الخروج، فرزق الشهادة، وقد كنت حريصاً على الشهادة، وقد رأيت ابنيَ البارحة في النوم، في أحسن صورة، يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، وهو يقول: الحقْ بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدتُ ما وعدني ربي حقًّا...

ثم يخاطب الرسول (ص) قائلاً: لقد أصبحتُ مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سِنِّي، ودقَّ عظمي، وأحببت لقاء ربي، فادْعُ الله، يا رسول الله، أن يرزقني الشهادة، ومرافقة سعدٍ في الجنة»[1].

ويقول أنس بن قتادة: يا رسول الله!! هي إحدى الحسنيين: إمّا الشهادة، وإما الغنيمة والظفر بقتل المشركين...

ويبتسم الرسول (ص) لهذا الحماس المتدفق نهراً من الإخلاص للعقيدة... وحب الاستشهاد في سبيل الله، ويقول لهم: إني أخاف عليكم الهزيمة...

فيزداد حماسهم اشتعالاً... ويأبون إلا أن يخرجوا للصراع مع المشركين خارج المدينة...

ويرى الرسول (ص) هذه الطاقة، العارمة، المتوثبة، التي تضج بها أرواحهم، فيقرر أن يستجيب لرغبة الأكثرية المتعطشة لمجالدة الشرك، والطغيان...

وفي صبيحة يوم الجمعة السادس من شوال من العام الثالث

---

(١) دعا له الرسول فنال الشهادة في أحد.

للهجرة، يخطب الرسول (ص)، فيعظهم، ثم يأمرهم بـا
والاجتهاد، ويخبرهم أن النصر لهم ما صبروا، ويعلمهم
متوجه إلى حرب «قريش المشركة» ومن معها. . .

فتطل الفرحة من العيون. . . . ويأخذون بالتهيؤ لأ
الإسلام. . .

ويصلي الرسول (ص) العصر بالناس. . . . ويخرج
المسجد، بعدما خرج الناس، فيرى هدير العزم، والنص
ينعكس من قلوب الجماهير، على الوجوه، وفي الحركات
بشراً، وثباتاً. . .

ولمحة إثر لمحة، فإذا غابة كثيفة تغطي رحاب المسجد،
حوله، وتغص بها شوارع المدينة. . .

كانت القلوب تنبض بسرعة، وكل نبضة تزمجر: نحن لـ
رسول الله!!!

وتنبعث من بين شفتي رسول الله (ص) ابتسامة رضـ
ويدخل بيته، يلبس آلة حربه. . .

ويقف جند الرحمن ينتظرون خروج رسول الله (ص). . .

وفي هذه اللحظات يواجه سعد بن معاذ، وأسيد بن حـ
الناس فيقولان: قلتم لرسول الله (ص) ما قلتم، واستكرهـ
على الخروج، والأمر يتنزَّل عليه من السماء، فردوا الأمر إ
فما أمركم فافعلوه، وما رأيتم فيه هَوًى له، أو أدباً فأطيعوه» .

ويصغي هؤلاء إلى هذه الكلمات التي ينطف منها
الحكمة، والتعقّل، فتدهمهم الحيرة. . .

إنهم لَعَلَى مثل قلب الطهر نقاءً، في حبهم لرسول الله (ص)...

وإنهم لعلى بصيرة من صفاء عقائدهم...

وإنهم لعلى بينة من صدقهم في لقاء عبيد الشرك، وسادة البغي...

وإنهم، إنما فعلوا ما فعلوا ابتغاء مرضاة الله ورسوله (ص)...

إذن، فكيف يقول سعد، وأسيد، ما يقولان؟؟

يقولان: إننا استكرهناه على الخروج..

معاذ الله. لقد طلب منا إبداء آرائنا، وإن الكلمات التي نطقنا بها، إنما هي مشاعر أرواحنا، كانت تفيض على ألسنتنا حبًّا، وإخلاصاً، وحرصاً على التضحية حتى تكون كلمة الله هي العليا، وحتى ينمحق الطغيان من الدنيا...

وإذا كان الرسول (ص) غير راضٍ بالخروج إليهم، فلا والله لا نخرج، ولا نعمل إلا بما يراه...

وبينا هذه الأفكار تتحرك لَمْعَ بَرْقٍ في وجدان كلٍّ منهم، يخرج الرسول (ص) لابساً لامة حربه... وقد لبس الدرع فأظهرها، وحزم وسطها بمنطقةٍ من حمائل من أدم، واعتمَّ، وتَقَلَّدَ السيف...

ويتقدم إليه نفر من الذين كانوا يلحون عليه بالخروج، فيقولون بلهجة رازحةٍ بالخشوع: ما كان لنا أن نستكرهك، والأمر لله ثم إليك...

فيقول: لا ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم

الله بينه وبين أعدائه. . .

ثم يقول لهم: انظروا ما أمرتكم به، فاتبعوه، امضوا على اسم الله، فلكم النصر ما صبرتم. . .

ويركب الرسول (ص) فرسه، وفي خاطره أن ينازل المشركين في أحد، فيسلك طريق «البدائع»، ثم زقاق الحسنى، فالشيخين(١)، وفي هذا المكان يُجري عرضاً للجيش، فإذا هو ألف، منهم مائة دارعون، وخمسون من الرماة. . . وعدد من الفرسان على رأسهم المقداد بن الأسود الكندي. . .

ويشاهد الرسول (ص) بين المسلمين بعض الغلمان، فيأمر بردهم، فيقول ظهير بن رافع: يا رسول الله!! إنّ رافع بن خديج رام يُعينني، ولكي يثبت رافع أنه على مستوى الرجال طولاً، أخذ يتطاول على أصابع رجليه، فيسمح له الرسول بحضور المعركة. . .

ويجيء سمرة بن جندب إلى مري بن سنان الحارثي(٢) يقول باكياً: يا أبتِ!! أجاز رسول الله رافع بن خديج وردّني، وأنا أصرع رافعاً، فيأتي مري رسول الله (ص) يقول له: يا رسول الله!! رددت ابني، وأجزتَ رافع بن خديج وابني يصرعه. .

ويتصارع الغلامان، فيصرع سمرة رافعاً، فيجيزه رسول الله (ص). . .

(١) الشيخان: جبلان كان ينزل فيهما في الجاهلية شيخان: رجل، وعجوز، كلاهما أعمى، فَسُمّي الجبلان بهذا الاسم.

(٢) مري بن سنان زوج أم سمرة بن جندب. . .

هكذا، تصميم على التضحية، وإقدامٌ على الموت حتى من الصبيان...

إنها مبادىء الإسلام، وعقائده التي صاغت الجميع خَلقاً جديداً، حميداً...

ويعلم المشركون أن رسول الله (ص) نزل «الشيخين»، فيجمعون خيلهم، وظهرهم، ويرتبون حرساً بقيادة عكرمة بن أبي جهل في خَيلٍ منهم، ويتولّى حراسة المسلمين خمسون رجلاً تحت إمرة محمد بن مسلمة بأمرٍ من رسول الله (ص).

وبعد صلاة العشاء ينام الرسول؛... حتى إذا كان السحر استيقظ وقال: أين الأدلاء؟؟ أما من رجلٍ يدلنا على الطريق،... ويخرجنا على القوم من كثب؟؟

فيقوم أبو خيثمة الحارثي ويقول: أنا يا رسول الله !!!

فيخرج بالمسلمين، ويسلك بهم في بني حارثة، وبين أموالهم، حتى ينتهي إلى موضع القنطرة، فيأمر الرسول (ص) بلالاً بالأذان، ويصلّي الصبح، وهناك، يتركه المنافق عبدِ الله بن أبي سلول، ويرجع في ثلاثمائة ممن خادعهم فأطاعوه...

ويحاول عبد الله بن حرام، أخو بني سَلَمة أن يرده، فيأبى، محتجّاً بأن رسول الله (ص)، عمل برأي الشبان، ولم يعمل برأيه، فيقول له عبد الله، ولمن معه: أبعدكم الله، إن الله سيغني النبي (ص) والمؤمنين عن نصركم، ويعود عبد الله راكضاً حتى يلحق بالنبي (ص) في أحد...

«استراتيجية» الرسول (ص) الحربية:

عسكر رسول الله في الشعب من أحد في مرتفع الوادي، في جنوب جبل أحد، ورتّب ميمنة وميسرة، وجعل جبل أحد خلف ظهره، والمدينة (يثرب) أمامه، ثم وضع الرماة الخمسين على جبل «عنين»، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير، أخا بني عمرو بن عوف، وهو معلم يومئذٍ بثياب بيض...

ويخطب الرسول (ص) في الرماة فيقول لهم: لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا عليهم، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا، وانضحوا عنا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا...

وأمَّر على الخيل المقداد بن الأسود الكندي، والزبير بن العوام[1]...

وهكذا أصبح المسلمون في عدوة الوادي، جَبَلُ أُحُد خَلْفَ ظُهُورهم، وعنينٌ عن يسارهم، والمدينة أمامهم على بعد خمسة كيلومترات...

ويأتي المشركون، فيحتلون الموقع المنخفض من الوادي،... فتغدو المدينة وراءهم، وجبل الرماة (عنين) عن يمينهم، وأحد أمامهم... وهم على بعد (٤٢٠) كيلومتراً من مكة..

ويقيم هؤلاء ميمنة وميسرة، ويولون على الخيل وهي مائة فرس خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل[2]، وعلى الرماة

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ـ المجلد الثاني، ص (١٢٠) ط، بيروت ١٩٦٥.

(٢) يقول الطبري: «وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين، ومعه عكرمة بن أبي جهل» راجع الطبري: القسم الأول ٣ ـ العام الثالث، ص ١٣٩٤ و ١٣٩٥

وكانوا مئة عبد الله بن أبي ربيعة... ويدفعون اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة - أحد بني عبد الدار بن قصي، ويصفون نساءهم وراء الجيش تحت حراسة عبيدهم...

ولما رأى الرسول (ص) المشركين يسلمون اللواء لبني عبد الدار، يأخذ اللواء من علي بن أبي طالب، ويدفعه إلى مصعب بن عمير لأنه من بني عبد الدار...

على هذا الوجه يتقابل الجيشان - جيش «قريش المشركة الباغية» التي جاءت تحمل حقداً لا يطفىء لهاثه إلا الدم الإسلامي...

وجيش المسلمين العقائدي الذي تجري في وجوده «ايديولوجية» الإسلام: بصيرة، وهدى، وبطولة...

الجيش الأول يطلب الثأر بقتلى بدر، ويود، في هذه المعركة أن يحط راية الإسلام، فلا يرتفع لها بند بعد اليوم...

والجيش الثاني يحارب، لينحرَ همجيَّةَ الشرك المتغطرس... وإنه لعلى موعد صدق، مع إحدى الحسنيين: إما شهادة تحمله على أجنحتها النواعم إلى جنات تجري من تحتها الأنهار، وإمَّا نصر يقمع الشرك، واستدلال الجماهير الكادحة؛...

ولقد كانت معركة أحد من حيث: العدد، والعدة غير متكافئة، كمعركة «بدر»، فالمشركون يزيدون على الثلاثة آلاف عَدًّا، ومعهم مئتا فارس، ومئة رام، وهم مزودون بآلة حربٍ مترفة... ومعهم النساء تُسَعِّرُ فيهم الحمية الجاهلية.

أما المسلمون فإن عددهم لا يزيد عن سبعمائة ـ الدارعون منهم قليل... والرماة قلة، والخيل أقل... ولكن المسلمين يتميزون بروح مَوّارة بطاقات عارمة، نابعة من مبدأ الإيمان بالله الأحد... وبما جاءهم محمد رسول الله (ص) من عقائد قدوسية...

وكانت هذه الموازنة نقاط ضياء في ذهن نبي الرحمة (ص)...

وكان يعلم أن عليه أن يشعل فتيل تلك الطاقات العظمى، بتوجيهات مباركات... ترتفع بأرواح المسلمين إلى الأوج البطولي الأزهى، بحيث لا يشعرون إلا بعزة البأس، تنبجس فيهم سَكْباً من: الإباء، الفائر، الثائر... فإذا هو يخطب فيهم قائلاً: أيها الناس!! أوصيكم بما أوصاني الله به في كتابه من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر، لمن ذكر لله الذي عليه، ثم وطّن نفسه على الصبر واليقين، والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديدٌ كريه، قليلٌ من يصبر عليه، إلا من عزم له على رشده. إن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، ورغّبكم بالذي أمركم به، فإني حريصٌ على رشدكم...

إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف، وهو لا يحبه الله، ولا يعطي عليه النصر والظفر...

أيها الناس!!! إنه قُذفَ في قلبي، أن من كان على حرامٍ، فرغب عنه ابتغاء ما عند الله، غفر الله له ذنبه، ومن صَلّى على

محمد، صلَّى الله عليه وملائكته عشراً، ومن أحسن وقع أجره على الله، في عاجل الدنيا، أو في آجل الآخرة، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة، إلا صبيًّا، أو امرأةً، أو مريضاً أو عبداً مملوكاً، ومن استغنى عنها، استغنى الله عنه، والله غنيٌّ حميد...

ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله، إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار، إلا وقد نهيتكم عنه، وإنه قد نفث الروح الأمين في روعي أنه لن تموتَ نفسٌ قبل أن تستوفيَ رزقها، لا ينقص منه شيءٌ، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم، وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنَّكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم، فإنه لا يُقدر على ما عنده إلا بطاعته... قد بَيَّنَ لكم الحلال والحرام، غير أنَّ بهما شبهاً من الأمر، لم يعلمها كثير من الناس، إلا من عَصَم... فمس تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها، كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشَكَ أن يقعَ فيه... وليس ملكُ إلاَّ وله حمىً، ألَا، وإن حمى الله محارمه... والمؤمن من المؤمن، كالرأس من الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده... والسلام عليكم»...

ثم، نهى أن يقاتل أحد إلا بأمره...

بدء القتال. علي بن أبي طالب يقتل حملة الألوية:

ولم يكد الرسول يفرغ من خطبته الهادئة، الرزينة، التي بدأها بالحث على الجهاد ـ جهاد العدو المشرك، والصبر

عليه... وختمها بوجوب حب المؤمن لأخيه؛.. والتعاون معه... ورصّعها فيما بين ذلك بأنماطٍ من الحكمة، ولُمَعٍ من التشريع، ودعوة حارة إلى طاعة الله، فيما أمر به، ونهى عنه، وأن لا يطلبوا الرزق في معصية الله، فإنه لا تموت نَفْسٌ قبل أن تستوفي ما أعده الله لها من رزق... لم يكد يفرغ منها، حتى يبرز بين الصفين حامل لواء «قريش» طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار. وينادي متحديًا: من يبارز؟؟

فينهض إليه علي بن أبي طالب (ع) ويقول له: هل لك في مبارزتي؟؟

ـ نعم.

فالتقيا، فبدره عليٌّ (ع) بضربةٍ على رأسه، فمضى السيف حتى فلق هامته، إلى أن انتهى إلى لحيته، فوقع؛.. وانصرف علي (ع)..

وتظلل البهجة وجه رسول الله (ص) حين يقتل طلحة، ويكبر المسلمون عالياً... فيتلظّى المشركون غيظاً؛... ويأخذ اللواء آخر من أبطال عبد الدار، ويطلب المبارزة، فيقتله علي (ع)، وطفق حملة الألوية ينزلون واحداً إثر واحد حتى فتل علي (ع) منهم سبعة[1]... فتتصدع قلوب المشركين... ثم يعاجلهم الرسول (ص) الوثبة، فيأمر المشاة بالزحف، ويأمر الزبير

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ـ الجزء الثاني، صفحة (١٠١) طبع دار الفكر ـ بيروت ١٩٥٥، وراجع الطبري: تاريخ الرسل والملوك، القسم الأول ـ ٣ ـ، صفحة (١٤٠٢) طبع مكتبة خياط ـ بيروت، وراجع، خليل هنداوي: يوم أحد، ص (٣٦) طبع دار العلم للملايين ـ بيروت..

والمقداد أن يشدا على خيول المشركين... ويأمر الرماة أن يتصدوا لرماة المشركين... ويزحف المشركون... ويلتقي الجيشان...

موجاتٌ من العنف الصّاخب تتلاقى في صدام مريع، يتحلّبُ هلعاً، ودماً، وموتاً...

المشركون يطلبون ثأراً طريَّ الجراح، عمبقها... وهم مستعدون للتضحية بكل شيء ليتخلصوا من محمد ورسالته (ص)...

والمسلمون يهتفون: الله أكبر... يريدون أن ينسجوا من هاتين الكلمتين، نهاراً، يشرف على الإنسانية، عزًّا، وكرامة، ومدنية...

وتمضي الساعات؛... سيوف تجالد... ورماح تطاعن... والجثث تتساقط مرملةً بالنجيع القاني، وجو المعركة ترفع سخونته الآهات... والزفرات...

ويبصر الرسول (ص) المشركين يتساوقون فِرَقاً... وعيونهم عليه... فينادي: يا علي!! اكفني شر هؤلاء...

ويرفع علي ذا الفقار، ويغوص في تلك «الفِرق» الواحدة بعد الأخرى... فيشتتها...

وعن هذه الحالة يحدثنا الطبري فيقول: «لما قتل عليٌ بن أبي طالب أصحاب الألوية... أبصر رسول الله جماعةً من مشركي قريش،... فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم، ففرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، ثم أبصر

جماعة أخرى من مشركي قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم، وفرق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فينزل جبريل على الرسول (ص) يقول له:

يا رسول الله!! إن هذه للمواساة...

فيقول الرسول (ص): إنه مني وأنا منه...

فيقول جبريل: وأنا منكما...

ويرتفع صوت جبريل في سماء المعركة قائلاً:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي[1]

ويحمل النبي (ص) ومن معه على أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ومن معهما، فيهزمونهم...

ويشد المقداد بن الأسود والزبير بن العوام على خيل المشركين، فيهزمون خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل[2]..

وينكشف المشركون هاربين، وجلين، حتى جعلهم الذعر يتخلون عن النساء، ويذرونهنّ يتعثرن راكضاتٍ وراءهم... مولولات...

ويحتل المسلمون مكانهم، ويطاردونهم مسافة قريبة... ثم

(١) راجع، الطبري. القسم الأول ـ ٣ ـ صفحة (١٤٠٢)، وراجع ابن أبي الحديد: شرح النهج، المجلد الثالث، صفحة (٥٦١) طبع دار الفكر ـ بيروت، وراجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ ـ الجزء الثاني، صفحة(١٠١) طبع دار الفكر ـ بيروت. وفي ذلك قال حسان بن ثابت شاعر الرسول:

جبريل نادى معلناً والنقع ليس بمنجلي

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

(٢) أبو الفرج الأصبهاني' القسم الأول، المجلد الرابع عشر، ص (٣٢).

تضطرب موازين المعركة...

كيف حدث ذلك؟؟

لِنُصْغِ إلى ابن أبي الحديد يقص علينا نبأ ما حدث «لمَّا انهزم المشركون، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا حتى أجلوهم عن المعسكر، ووقعوا ينتهبونه، قال بعض الرماة لبعض: لِمَ تقيمون هنا في غير شيء؟؟

قد هزم الله العدو، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون معسكرهم، فادخلوا عسكر المشركين، فاغنموا مع إخوانكم.

فقال بعضهم: ألم تعلموا أن رسول الله قال لكم: احموا ظهورنا، وإن غنمنا فلا تتركوا أمكنتكم..؟؟

فقال الآخرون: لم يُرِدْ رسول الله هذا، وقد أذل الله المشركين، وهزمهم، فادخلوا العسكر، وانتهبوا مع إخوانكم...

فلما اختلفوا خطبهم أميرهم عبد الله بن جبير، فحمد الله، وأثنى عليه، وأمرهم بطاعة رسوله، وأن لا يخالفوا أمره... فعصوه... وانطلقوا، ولم يَبْقَ منهم إلا نفر قليل، ما يبلغون العشرة، منهم: الحارث بن أنس بن رافع الذي ناداهم قائلاً: يا قوم!! اذكروا عهد نبيكم إليكم، وأطيعوا أميركم، فأبوا، وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون، وخلّوا الجبل[1].

* * *

(١) ابن أبي الحديد: شرح النهج، المجلد الثالث، صفحة (٥٥٥) طبع دار الفكر في بيروت.

كان خالد بن الوليد قد انكشف بعيداً عن ساح المعركة، يتلمظ مرارة الهزيمة

أفي كرة خاطفة يهزمه المقداد بن الأسود والزبير؟؟

إن قلبه ليوشك أن يتفطر ألَماً، ومهانة...

وكانت عيناه على المتاع الذي ينتهب طوراً،... وطوراً على النساء الصارخات، الباكيات،... وحيناً على الرجال الفارين مبهورين...

وينظر إلى جبل «عنين» حيث الرماة يحمون ظهور المسلمين من حركة التفاف دائرية... فيراه خالياً إلا من عصابة لا يصل أفرادها العشرة عدًّا... فيلمع الغدر في سريرته... وينادي عكرمة بن أبي جهل، ويجمعون فرسانهم المبعثرين، ويدورون من وراء الجبل، فيفجؤون الرماة الآمنين...

ويصمد هؤلاء لرعب المفاجأة، ويسلطون عليهم نبالهم، فيرمونهم حتى تفنى، ويشهرون رماحهم ولا ينفكون عن مطاعنتهم حتى تتقصف.. ثم يجردون السيوف يواثبونهم بها حتى يُقتلوا جميعاً[1].

ثم ينقض خالد بالخيل على المسلمين من خلفهم..

ويرى المشركون ذلك، فيتنادون... ويعودون إلى ميدان المعركة... فيصبح المسلمون بين أنياب الثعبان...

مئتا فارس جاؤوهم من خلفهم... وثلاثة آلاف محارب يعودون شراساً لمواجهتهم...

---

(١) ما عدا اثنين كما يقول بعض المؤرخين...

ويذهل المسلمون من الصدمة القاسية المباغتة...
حَتّى أن الذهول جعلهم ـ بعدما خالطهم المشركون ـ يضرب بعضهم بعضاً...
كانوا منتشرين في أرجاء معسكر المشركين، فُرادى، وزمراً...
لقد اطمأنوا إلى غار النصر يعصب منهم الجباه...

ويغشاهم المشركون، وهم على تلك الحالة من الاطمئنان، والرضى، والهناءة النفسية...
فيدهشون... تُربكهم الحيرة... كيف تَمَّ هذا؟؟
ولكن، سرعان، ما ينداح الذهول... وتنقشع الحيرة...
سرعان ما يدركون حينما هوجموا من الخلف، أن الرماة قد خالفوا رسول الله (ص)، وتركوا الجبل الذي أثبتهم فيه...

ويرفع المسلمون شعار: أمت، يتعارفون به...
وتبدأ المعركة من جديد نضالاً، عاتياً، فائراً بالعرق... والدماء...
وتأخذ البطولات الإسلامية تشمخ ملء ساح المعركة...
ويمسك الرسول (ص) بزمام القيادة...
يتناول سيفاً بيده ويقول: من يأخذ هذا السيف بحقه؟؟
فيعترض الزبير ويقول: أنا يا رسول الله!!، فيمسكه عنه.
ويقوم أبو دجانة سماك بن خرشة، أخو بني ساعدة فيقول: أنا، ولكن، ما حقُّه يا رسول الله!!

ـ أن تضرب به العدوَّ حتى ينحنيَ...

فيأخذه أبو دجانة، ويلف رأسه بعصابة حمراء، كانوا يسمونها

عصابة الموت، وينصب على المشركين، ضرباً جزلاً حتى يُعطيَ السيف حقه...

يقول عمر بن الخطاب: لقد اتبعته، فرأيته يضرب به العدو، حتى يرده كأنه منجل[1]...

ويوجّه الرسول (ص) علي بن أبي طالب (ع)، وسهل بن حنيف، وغيرهما... إلى كتائب المشركين، فيمزقون تماسكها تمزيقاً...

وبينما كان أبطال المسلمين، يطلعون على المشركين حساماً باتراً... وسناناً يرعف بالنجيع...

بينما كان سبعمائة يصارعون في حلبة الموت ثلاثة آلاف... فيهوي منهم البَطل بعد البطل كواكب شهادة...

كان ثلاثة من فرسان المشركين الأشداء يبحثون عن الرسول (ص) ليقتلوه هم: عتبة بن أبي وقاص (أخو سعد)، وعبد الله بن شهاب الزهري، وابن قميئة..

وفي ساعةٍ كان يحاول فيها كماة الإسلام إطفاء هجوم المشركين، يَتَسَلَّلُ هؤلاء الثلاثة إلى الرسول (ص)، فيستقبلهم مصعب بن عمير، حامل اللواء بسيفه، فيقتلونه...

ولا يجرؤون على الدنو من رسول الله (ص)، بل يرمونه بالحجارة من بعيد، فتنكسر رباعيته، وتجرح شفتاه، وتشج

(١) يقول مسلم في صحيحه: حين قال رسول الله للمرة الثانية من يأخذ هذا السيف بحقه قال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، فأخذه، ففلق به هام المشركين، صحيح مسلم ـ الجزء السابع، ص (١٥١) طبع مصر.

جبهته، ويسعون هاربين...

ويعود أبو دجانة من صولةٍ له على قريش، فيرى رماة المشركين يصوبون سهامهم إلى رسول الله (ص)، فينحني بجسده عليه يتلقى هَبَّاتِ السهام، ويجثم نفر من المسلمين بين يدي رسول الله (ص)، فيأخذون قسيهم، يرجمون بسهامهم المشركين... وكان أتقنهم قذفاً المقداد بن الأسود الكندي(1).

ويعود علي بن أبي طالب (ع) إلى الرسول (ص)، في تلك اللحظات العاتمات من سعير المعركة، فيسلمه اللواء، ويرى ما حدث لرسول الله (ص)، فيستطير غضباً، وينحط على الأرتال المتجمعة لتنال من نبي الهدى والرحمة (ص)، فيشلها بذي الفقار شلاً وفي ذلك يقول: «لقد رأيتُني يومئذٍ، وأني لأذبهم في ناحية، وأن أبا دجانة لفي ناحية ثانية يذب طائفة منهم، حتى فرج الله ذلك كله».

«ولقد رأيتُني انفردتُ منهم يومئذ فرقة خشنة، فيها عكرمة بن أبي جهل، فدخلت وسطهم بالسيف فضربتُ به، واشتملوا عَلَيَّ، حتى أفضيتُ إلى آخرهم، ثم كررت فيهم الثانية، حتى رجعت من حيث جئت ولكنَّ الأجل استأخر، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً»(2).

ومع صدق هذه الهجمات وعنفها، تظل حرارة المعركة تتصاعد حول رسول الله (ص)، ويثبتُ في الدفاع عنه ثلاثة:

(1) وكان من الرماة الأكفاء أبو طلحة، وسعد بن أبي وقاص.

(2) راجع، ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج، المجلد الثالث، صفحة (563) طبع دار الفكر - بيروت.

علي بن أبي طالب، وأبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، ويمنع هو عن نفسه، فيرشق بالسهام تارةَ، ويضرب بالسيف، ويرمي بالحربة تارةً، فيجرح، ويقتل[١].

وعندما يأخذ جمر المعركة يهمد شيئاً، فشيئاً حول رسول الله (ص)، ليتوهَّج في مواطن أخرى من الميدان، يرتفع صوت جهوري يقول: قتل محمد. قتل محمد.

وتنطلق هذه الصرخة بين المسلمين زلزالاً يرج القلوب رجًّا

أما المشركون فإنهم يحسون برد الجذل يسبح في ضمائرهم...

ها هُم قتلوا محمداً، وعطلوا أحكام عقائده، ومبادئه...

وها هي مقاعد العز، والسيطرة،... تفتح لهم أحضانها الوثيرة، الحالية...

وتفتر عزائمهم عن الضراب... لقد تعبوا، وملّوا جلاد هؤلاء المسلمين الأشداء...

ولكن، أصحيح أن محمداً قد قتل؟؟

ما يزال الشك عندهم ينازع اليقين...

وكما يسري الشك بين المشركين، يسري بين المسلمين البعيدين عن الرسول (ص)...

غير أن فئة منهم يُصدقون، فيتركون الحرب، ويصعدون في الجبل.

يقول عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه الإمام علي بن أبي طالب

---

(١) المصدر السابق، صفحة (٥٩٠).

(ع): «وشهد الرسول (ص) الاضطراب والرعب يجرفان صفوف أصحابه، كأنهما سَيْلٌ حتى انفرجوا عنه حتى،عُمر غاب عن عينيه... وحتى أبو بكر أيضاً، وكانا دواماً أقربَ إليه من أردان ثوبه» (الجزء الأول صفحة ٨٤).

ويقول ابن هشام: «وينتهي أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجالٍ من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم،... فقال: ما يجلسكم؟؟

ـ قُتِلَ رسول الله[1]...

ـ فماذا تصنعون بالحياة بعده، فموتوا على ما مات عليه رسول الله؟؟؟

ثم استقبل المشركين، فقاتل حتى قتل[2]...

---

(١) أما ابن الأثير، فيروي الحادثة على الوجه التالي، إذ يقول. «إن أنس بن النضر سمع نفراً من المسلمين يقولون لما سمعوا أن النبي قتل: ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبي بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، قبل أن يقتلونا، فقال لهم أنس: يا قوم!! إذا كان محمد قد قتل فإن ربَّ محمد لم يُقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد. اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم قاتل حتى قتل . ويستمر قائلاً وانتهت الهزيمة بجماعةٍ من المسلمين، فيهم عثمان بن عفان وغيره إلى «الأعواص» فأقاموا ثلاثاً، ثم أتوا النبي فقال لهم حين رآهم. لقد ذهبتم بها عريضة»، راجع، ابن الأثير. الكامل في التاريخ الجزء الثاني، صفحة (١٠٢ و١٠٣) ط. دار الفكر ـ بيروت.

(٢) ابن هشام: السيرة، المجلد الثالث، ص (٨٨) ط. ثالثة ـ بيروت ١٩٧١، وراجع ابن أبي الحديد: شرح النهج، المجلد الثالث ص (٥٧٤) ط بيروت.

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي: ويرى النفر الثلاثة الذين يحامون عن الرسول (ص) المشركين يتفرقون عنهم، فيمضون مع الرسول (ص) صُعُداً إلى الجبل[1].

ويرفع أبو دجانة عصابة الموت الحمراء، يلوح بها للمسلمين ليعودوا إليه، فيعودون، وعندما يشاهدون الرسول (ص) تنضر جباههم برونق السعادة...

ويلتفون حوله التفاف الكأس بتويج الزهرة... وتمضي هنيهة من الوقت، تنسيهم فيها البهجة بسلامة الرسول (ص) آلامهم الجسدية، والنفسية... ثم يأخذون بالحديث عن المعركة الضارية... فإذا مسعود الأنصاري يذكر من قتل من قومه...

ويشرع كل منهم يسأل: عن نسيب له، أو صديق... وتطول هذه الأحاديث دقيقة بعد دقيقة... ثم يَقِرُّ في مسامعهم حركة صادرة من أعلى... فيمضون بأبصارهم إلى مصدر الحركة، فإذا كتائب من المشركين، قد ملكت عليهم رقبة الجبل... فيضطربون...

ويقف الرسول (ص) يحضهم على الثبات والقتال... ولكن الرعب يهد قلوب بعضهم، وإذا الهرب يتخطفهم، ويعدو بهم بعيداً، بعيداً،... وعن هذا المشهد يحدثنا رافع بن خديج فيقول: «إني يومئذ إلى جنب أبي مسعود الأنصاري، وهو يذكر من قتل من قومه، ويسأل عنهم، فيخبر برجال منهم: سعد بن الربيع، وخارجة بن زهير، وهو يسترجع، ويترحم عليهم، وبعض المسلمين يسأل بعضاً عن حميمه، وذي رحمه، وهم

(1) المصدر السابق.

يخبر بعضهم بعضاً، فبينما هم كذلك، إذا عدوهم فوقهم قد علوا... وندبنا رسول الله، وحضنا على القتال، والله لكأني أنظر إلى فلان وفلان في عرض الجبل يعدوان هاربين»(1)

ويدعو الرسول (ص) ربه فيقول: اللهم!! ليس لهم أن يعلونا. اللهم أن تقتل هذه العصابة لا تعبد...

ويترحَّلُ المشركون عن مكانهم حينما يرون المسلمين يتأهبون لمواثبتهم، فيذرون الجبل، ويمضون إلى مكة...

وَيَغْشَى خبر معركة «أحد» المدينة، فتتراكض النساء إلى الماء يحملنه، ويذهبن، يسقين العطشى، ويعتنين بالجرحى...

وكان في النساء الزهراء فاطمة بنت رسول الله (ص) التي أسرعت لهيفةً، كسيفة الفؤاد، وحين ترى أباها تنكب عليه مقبلة... ثم ترى ما به، فتأخذ بغسل الجراح، وعليٌّ يصب الماء، لكن الدم لا يرقأ، فتمسك بصوفة فتحرقها، حتى تصير رماداً، ثم تلصقها بالجراح فتستمسك، وينقطع النزيف...

ويسأل الرسول (ص)، عن وجوه الصحابة، يسأل عن سعد بن الربيع فيقول: من يأتينا بخبره؟؟؟

فيمضي محمد بن مسلمة، يبحث عنه، فيراه بين القتلى، فيقول له: إن رسول الله أرسلني إليك...

فتنفَّس كما يتنفَّس الطير، ثم قال. وإن رسول الله لحي..؟؟..

---

(1) ابن أبي الحديد: شرح النهج، المجلد الثالث، ص (٥٩٠) ط دار الفكر - بيروت.

ـ نعم.

فتضيء نفحةٌ رَضيَّةٌ عينيه الذابلتين ويقول: لقد طعنتُ اثنتي عشرة طعنة كلها أجافتني... وأنا في الأموات. أبلغ رسول الله السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله ما جزى نبيًّا عن أمته. وأبلغ قومك الأنصار السلام، وقل لهم: الله، الله، وما عاهدتم عليه الله ليلة العقبة، والله لا عذر لكم عند الله، إن خُلص إلى نبيكم، وفيكم عَيْنٌ تطرف» ثم ينتفض لتنطفىء في الجسد جذوة الحياة...

ويعود ابن مسلمة يخبر الرسول (ص)، فيرفع يديه أمام السماء داعياً: اللهم!! الْقَ سعد بن الربيع، وأنت عنه راضٍ[1].

ويقوم الرسول (ص) يتلمس القتلى بنفسه، فيجد عبد الله بن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجموح، وحنظلة بن أبي عامر.. و.. و.. وكلما رأى واحداً منهم ترحَّمَ عليه، ودعا له... وأخيراً يجد عمه الحمزة بن عبد المطلب ببطن الوادي، قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فَجُدِعَ أنفه، وأذناه[2]، فيزيده حزناً ما يرى، ويرثيه فيقول: لن أُصابَ بمثلك أَبَداً، ما وقفت موقفاً

(١) ابن هشام: السيرة، المجلد الثالث، صفحة (١٠٠) طبع بيروت ١٩٧١ + شرح النهج: ابن أبي الحديد المعتزلي ـ المجلد الثالث صفحة (٥٩٦) طبع بيروت ـ دار الفكر.

(٢) فعل به ذلك هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، ووالدة معاوية، وعندما فرغت من التمثيل به أنشدت:

شفيت من حمزة نفسي بأحد ... حين بقرتُ بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد ... من لوعة الحزن الشديد المعتمد

أغيظ إليَّ من هذا... ثم يصمت قليلاً ويقول: جاءني الآن جبريل فأخبرني: أن حمزة بن عبد المطلب مكتوبٌ في أهل السماوات السبع، حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله[1].

ثم يرى الرسول (ص) «مخيريق» أحد أحبار اليهود قتيلاً.. ويعلم أن مخيريق هذا، جاء اليهود، فقال: يا معشر يهود!! والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبي، وإن نصره عليكم خق...

فقالوا: ويحك، اليوم يوم السبت.

فقال: لا سبت، ثم أخذ سلاحه، وقال: أنا خارج لنصرة محمد، فإن أصبت، فأموالي له، يضعها حيث أراه الله[2].

ويأمر الرسول بجمع القتلى من المسلمين، فإذا هم سبعون، فيصلي عليهم جماعاتٍ... جماعات... ثم يأمر بدفنهم بلا غسل... وعندما ينتهي من الصلاة والدفن يقول: أنا شهيدٌ على هؤلاء.

فيقول أبو بكر: ألسنا إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟؟

فيجيبه الرسول (ص): بلى. ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي...

---

(١) رثى عبد الله بن رواحة حمزة بقصيدة مطلعها:

بكت عيني وحق لها بكاها   وما يُغني البكاء أو العويلُ

(٢) فجعلها الرسول في بيت مال المسلمين، أي. جعلها ملكاً للشعب، راجع المجلد الثالث من شرح النهج، ص (٥٦٦) + ابن هشام المجلد الثالث، ص (٩٤). طبع بيروت.

فيبكي أبو بكر ويقول: أَئِنّا لكائنون بعدك؟؟..[1]

العودة إلى المدينة:

ويعود الرسول إلى المدينة. وهناك تتجلّى محبة الشعب له بأوضأ صورها، وأقدسها، ويبدو فرحه بنجاته عارماً، غمراً...

تتلقى طليعة العائدين امرأةٌ من بني دينار، فينعون إليها: زوجها، وأخاها، وأباها، فتقول لهم: فما فعل برسول الله؟؟

- هو بخير كما تحبين.

- أرونيه حتى أنظر إليه، وحين تراه يتهلّل وجهها وتقول: كل مصيبة بعدك جَلَل[2] يا رسول الله!!

وتقول والدة سعد بن معاذ سيد الأوس حين تبصره: إذ رأيتك سالماً فقد أَشْفَتَ المصيبة..

بهذه العواطف الفياضة بالإجلالِ يستقبله الشعب في المدينة.

---

(1) راجع، الموطأ: الإمام مالك - يحيى بن الليث، طبعة ثانية، دار النفائس، صفحة (٣٠٧) ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م. إعداد أحمد راتب عرموش وراجع، صحيح البخاري، الجزء الرابع صفحة (٩٦ و٢٠٤) مطابع الشعب ١٣٧٨هـ، حيث ترى البخاري يروي عن رسول الله قوله: يؤخذ برجالٍ من أصحابي ذات الشمال، فأقول: أصحابي، أصحابي، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم...» وراجع، ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج - المجلد الثالث، صفحة (٥٩٥) طبع دار الفكر - بيروت ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م.

(2) جلل: هينة، يسيرة، وراجع، الطبري: القسم الأول - ٣ - صفحة (١٤٢٦) مكتبة خياط - بيروت.

وراجع، شرح النهج: ابن أبي الحديد، صفحة (٥٩٥) طبع بيروت.

لقد هَوَّن على الجميع إيمانهم الصادق بالله ورسوله (ص) كل مصيبة. . .

ويصل الرسول (ص) إلى داره، فيناول سيفه ابنته فاطمة قائلاً: اغسلي عن هذا دمه يا بنية!!

ويناولها عليٌّ سيفه ويقول: وهذا فاغسلي، فوالله لقد صدقني اليوم

فيقول له رسول الله (ص): لئن كنت صدقت القتال، فلقد صدق معك سهل بن حنيف، وأبو دجانة سماك بن خرشة.

ويقول الطبري: إن عليٌّ بن أبي طالب، حين أعطى فاطمة سيفه قال:

أفاطم!! هاكِ السيف غير ذميم فلستُ برعديد ولا بمليم
لعمري، لقد قاتلتُ في حب أحمدٍ وطاعة رب بالعباد رحيم
وسيفي بكفي، كالشهاب أهزه أجذُّ به من عاتقٍ وصميم
فمازلتُ، حتى فَضَّ ربي جموعهم وحتى شفينا نفس كل حليم[1]

المعركة التاريخية

وينطوي يوم أحد، بكربه، وجحيمه، ودمه، ليضع العرب في نقطة الانطلاق من أغلال الوثنية المعادية لروح الإنسانيّة. . .

لقد كان يوما «بدر وأحد» أغاني من ألوان النار، رفعت البشرية إلى آفاق صافية الأديم من التطور المدني الذي يرتكز على أعمدة ثلاثة هي: المحبة، والحرية، والإخاء. . .

---

(١) الطبري: القسم الأول ـ ٣ صفحة (١٤٢٦) مكتبة خياط ـ بيروت.

ويتطاول تاريخ الجهاد الأصيل باعتزاز ليظهر المقداد بن الأسود علماً بين أعلام المجاهدين في وقعة أحد، فهو، قد صدم مع الزبير، في بدء المعركة، فرسان المشركين الذين يقودهم خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وما ينفكان يدفعان بهما دفعاً دراكاً حتى أرغموهم على الاحتماء بعار الهزيمة.

ولما حَمِيَ الوطيس حول رسول الله (ص)، جثا أمامه، وأخذ قوسه، وما زال يرمي المشركين الذين يهاجمون الرسول (ص) مع سعدو وغيره حتى أجلوهم عنه...

ويتحدث أبناء مدينة الرسول (ص) عن معركة أحد، فيذكرون «استراتيجية» الرسول (ص) الفذة، وتحطيم قوى المشركين منذ الجولة الأولى، ويتذكرون بألم، مخالفة الرماة للرسول (ص)... ويقصون على بعضهم بِجَلَبٍ حيناً، وهمساً حيناً آخر أنباء بطولات الذين قضوا شهداء في حرّ المعركة.... والذين ما برحوا أحياءً، ويعدون قَتْلى المشرْكين واحداً، واحداً، فإذا هم ثمانية وعشرون من عيون أبطالهم، ويعدون من قتل علي بن أبي طالب (ع) وحده، فإذا هم اثنا عشر من خيرة رجالهم[1]...

وبين الحين، والحين، يُصغون إلى صوت مُنَدَّى بعذوبة ألوان طاقات الزهور، يتلو عليهم (خبر السماء) عن شهداء أحد، يرتله ترتيلاً: ﴿ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج، المجلد الثالث، ص (٦٠٣) طبع دار الفكر - بيروت.

أمواتاً، بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون[1].

الرسول يزوج المقداد بن الأسود:

أورد صاحب الإصابة عن ثابت البناني قال: كان المقداد وعبد الرحمن بن عوف جالسين، فقال له: مالك لا تتزوج؟؟

- زوجني ابنتك؛ فغضب عبد الرحمن، وأغلظ له القول، فشكا ذلك إلى النبي؛ فقال: أنا أزوجك، فزوجه بنت عمه ضباعة[2]. أما الشيخ الطوسي فيقول في المجلد الثاني من أماليه ص / ٨٤ /: إنها فاطمة بنت الزبير بن عبد المطّلب، ثم يقول: وقيل: هي ضباعة.

أولاد المقداد:

يقول صاحب الطبقات: إن رسول الله زوج المقداد بن الأسود الكندي ابنة عمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، . . . وأمُّها عاتكة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فولدت ضباعة للمقداد: عبد الله، وكريمة (وفي رواية تهذيب التهذيب) وضباعة. وقتل عبد الله يوم الجمل، فمر به علي بن أبي طالب (ع)، فقال: بئس ابن الأخت أنت، وكان مع عائشة[3].

---

(١) سورة آل عمران (١٦٩ و١٧٠).

(٢) ابن حجر العسقلاني: الإصابة ـ الجزء الثالث، ص (٤٥٤) ط (بالأوفست) مكتبة المثنى ـ بغداد.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، المجلد الثامن، صفحة (٤٦)، طبع دار صادر ـ بيروت أما محسن الأمين فيقول: إن المقتول هو «معبد بن المقداد»، انظر كتابه «حرب الجمل» ص (٥٦).

غزوة ذي قرد[1]

الرسول (ص) يسلم اللواء للمقداد:

في ربيع الأول العام السادس للهجرة (حزيران ٦٢٧م) أغار عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر الفزاري، ومعه أربعون فارساً من قبيلة غطفان على عشرين لقحة[2] لرسول الله، يرعاها رجل من قبيلة غفار، ومعه امرأته، فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة معهم. . .

ويرى سلمة بن الأكوع الأسلمي ذلك، وكان قريباً من مكان الحادثة، فيبعث إلى الرسول من يخبره، ويلحق هو بالقوم ينهكهم بنباله التي لا تكاد تخطىء أهدافها. . . ويجيء الصريخ المدينة منادياً: الفزع، الفزع. . . ويقول: إن المشركين أغاروا على سرح الرسول فاستاقوه. . . فيدعو الرسول (ص) المقداد بن الأسود، فيعقد له اللواء، ثم يقول: يا خيل الله اركبي[3]، ويقول له: امضِ بمن معك، وأنا على أثرك.

ويمضي المقداد لما أمره رسول الله (ص)، ويلتحم مع المشركين في معركة تنفرج رحاها عن قتل رؤوس المهاجمين، وهزيمتهم، وإنقاذ اللقاح، وبينا المقداد يأخذ لملاحقة المشركين الفارين أهبتّه، يصل رسول الله (ص) على رأس

(١) ذو قرد ماء على نحو اثني عشر ميلاً من المدينة، ويقول البخاري في الجزء الخامس ص (١٦٥ و١٦٦) إنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام، أما أبو الفداء فيقول في الجزء الثاني، ص (٤٠) إنها كانت بعد الأحزاب، وقريظة.

(٢) اللقحة: الناقة الحلوب.

(٣) يا خيل الله اركبي، لم يقلها أحد قبل الرسول، ولم يقلها قبل هذه الغزوة.

خمسمائة من المسلمين، فينهى عن اتباعهم ويقيم «بذي قرد» يوماً وليلة، ثم يرجع قافلاً إلى المدينة[1].

الرسول (ص) يمنح المقداد طعمة في «غزوة خيبر»[2]:

ويحضر المقداد بن الأسود غزوة خيبر، ويبلي فيها أشجع بلاء، وبعد أن يبرد أوار المعركة «يطعمه الرسول خمسة عشر وَسْقاً شعيراً»[3]، وكان ذلك في شهر المحرم العام السابع للهجرة (آب، ٦٢٨م).

فتح مكة

الرسول يبعث عليًا والمقداد في مهمة:

وفي شهر رمضان العام الثامن للهجرة (كانون الثاني، ٦٣٠م)، تَنْقُضُ قريش صلح «الحديبية»[4] المعقود بينها وبين رسول الله (ص) فقد بيّتوا قبيلة خزاعة[5] التي كانت في حلف

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف من صفحة (٣٤٦-٣٤٨) طبع معهد المخطوطات العربية - جامعة الدول العربية - القاهرة ١٩٥٩، وراجع، ابن هشام: السيرة - المجلد الثالث، ص (٢٩٣) ط. ثالثة - بيروت. وراجع الطبري: القسم الأول - ٣ - ص (١٥٠٢) مكتبة خياطة - بيروت، ومحمد رضا: محمد رسول الله، ص (٣٣٢) ط. ثانية، مصر.

(٢) خيبر كلمة عبرية معناها: حصن أو قلعة.

(٣) ابن سعد: الطبقات، المجلد الثالث، ص (١٦٣)، ط. دار صادر - بيروت.

(٤) بئر، سُمي المكان بها وهي على بعد تسعة أميال من المدينة.

(٥) خزاعة: قبيلة عربية يمانية، كانت ممن هاجر من اليمن عند خراب سد مأرب وسكنت مكة وما جاورها.

رسول الله، ليلاً، وهم غـارون آمنون، فقتلوا منهم عشـرين رجلاً. . .

ويخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من قومه الى رسول الله (ص)، يخبره بما فعلت قريش، ويستنصره. . .

ويجيء أبو سفيان المدينة، وهو يطمع أن يجدد العهد. . . فيأبى الرسول (ص). . . وينصرف أبو سفيان إلى مكة. . .

ويـأخذ الـرسول بتجهيـز المسلمين، ليغزو قـريشـاً بسبب غدرها، ونقضها للعهد، ويحيط إعداده للمعركة بسرية تامة، فيضع أرصاداً خارج المدينة فلا يُسمح لغريب بالدخول إليها ـ كما لا يسمح لأحدٍ من أبناء المدينة بالذهاب إلى مكة. . . وعندما يجمع على المسير يكتب «حاطب بن بلتعة» ـ حليف بني أسد إلى قريش يخبرهم بعزم الرسول، ويستأجر مولاةً لبني عبد المطلب اسمها «سارة» ويدفع إليها عشرة دنانير، ويوصيها فيقول : «اخفيه ما استطعت، ولا تمري في الطريق فإن عليه حراساً» فجعلت الكتاب في رأسها، ثم فتلتْ عليها قرونها، وخرجت.

ويأتي جبريل فيخبر الرسول (ص) بما صنع «بلتعة» فيرسل في طلب «سـارة» علي بن أبي طـالب (ع)، والمقـداد بن الأسود. . . فيلحقان بها. . .

وتنفي بإصرار أن يكون معها كتاب. . . وعندما يتهددانهـا تُخرجُه من شعرها. . . فيأخذانه ثم يَعودان وهي معهما . ويقرأ الرسول (ص) الكتاب فإذا فيه «من حاطب بن بلتعة إلى : سهل

بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية. . . «إن رسول الله أذَّن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببتُ أن تكون لي عندكم يد».

ويسأل الرسول (ص) حاطباً فيقول لـه: يا حـاطب!! ما حملك على هذا؟؟

ـ يا رسول الله!! أما والله، إني لمؤمنٌ بالله ورسوله، وما غيَّرتُ ولا بدلت، ولكني كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم».

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله!! دعني أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق.

فقال الرسول: وما يُدريك يا عمر، لعلَّ الله قد اطلَّع على أصحـاب يوم بـدر[1] فقال: ﴿اعملوا مـا شئتم فقد غفـرت لكم. . . ﴾

الرسول يضع المقداد على مجنبة الجيش اليمنى.
الرسول يمسح الغبار عن وجه المقداد بثوبه:

ويمضي الرسول (ص) لما أعد نفسه له، ويستخلف على المدينة أبا رُهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري، ويخرج لعشر خلت من شهر رمضـان (أول كانـون الثاني، ٦٣٠م)، ويرتب الجيش، فيثبت كلاًّ من القادة في المكان الذي هو به

(١) حاطب بن بلتعة من الذين شهدوا «وقعة بدر». .

جدير. . . ويدخل مكة بلا حرب (صلحاً) يقول ابن سعد في الطبقات: ويجعل الرسول المقداد بن الأسود على المجنبة اليمنى، فلما دخل مكة، وهدأ الناس جاء المقداد بفرسه فقام رسول الله (ص) يمسح الغبار بثوبه عن وجهه، ويقول: إني قد جعلت للفرس سهمين، وللفارس سهماً، فمن نقصهما، أنقصه الله »[1].

المقداد يشهد الغزوات كلها:

يقول ابن سعد في طبقاته: «وشهد المقداد: بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب الرسول (ص)[2].

الرسول (ص) يؤمر المقداد بن الأسود على سرية... ليرفض الإمارة بعدها...

حدث أنسٌ فقال: بعث النبي المقداد على سرية، فلما قدم المدينة، قال له: أبا معبد!! كيف وجدت الإمارة؟؟

ـ كنت أحمل... وأوضع... حتى رأيتُ أن لي عَلى القوم فضلاً...

ـ هو ذاك، فَخُذْ، أو فدعْ

(1) ابن سعد: الطبقات ـ المجلد الثالث، ص (١٠٤)، ط. دار صادر ـ بيروت.

(2) المصدر السابق، ص (١٦٢). وراجع، ابن الأثير: أسد الغابة ـ الجزء الرابع، ص (٤١٠ و٤١١) ط. مصر، ١٢٨٦هـ.

ـ والذي بعثك بالحق لا أتأمّر على اثنين أبداً... فكانوا يقولون له: تقدم فصّل بنا فيأبى[1]

ذلك هو المقداد، لا يتولّى الإمارة على اثنين، لأن الإمارة وَسْوَسَتْ له أنه: فوق الذين تَأَمَّرَ عليهم... وهذا غرور، والغرور خلق دنيء، لذا أقسم للرسول (ص) أنه لا يقبل «إمارة» ما دام حيًّا...

المقداد يرفض ما يشوه عزة الإسلام:

أخرج أبو نعيم في «الحلية» عن الحارث بن سويد، قال: كان المقداد بن الأسود في سرية، فحصرهم... فعزم الأمير على أن لا يجشر[2] أحد دابته... فجشر رجل دابته لم تبلغه العزيمة، فضربه، فرجع الرجل وهو يقول: ما رأيت كما لقيت اليوم قط، فمر المقداد، فقال له: ما شأنك؟؟؟

فيذكر له الرجل قصته... فيتلهب المقداد على الأمير غضباً، ويتقلد سيفه، وينطلق معه حتى ينتهي به إلى الأمير، وما إن رآه حتى قال له: أقده[3] من نفسك، فأقاده، فعفا الرجل، ويرجع المقداد، وهو يقول: لأموتنّ والإسلام عزيز[4].

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ـ الجزء الأول، ص (١٦٧ و١٦٨) ط. أولى، الهند. (١٣٥٥هـ). وراجع الكاندهلوي: حياة الصحابة ـ المجلد الثاني، ص (٤٨)، وفيه قوله جواباً على سؤال الرسول: ما زلت حتى ظننت أن من معي خولاً لي.

(٢) جشر دابته: أخرجها لترعى.

(٣) أقده: اسمح له أن يقتص منك.

(٤) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ـ الجزء الأول، ص (١٧٦).

دعوات من الرسول تنمو صفاءً في نفس المقداد:

أخرج أبو نعيم في الحلية، عن المقداد بن الأسود، قال: جئت أنا وصاحبان لي، قد كادت تذهب أسماعنا، وأبصارنا من الجهد (أي جوعاً) فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله (ص)، فما يقبلنا أحد، حتى انطلق بنا رسول الله (ص) إلى رحله، ولآل محمد ثلاث أعنز يحتلبونها، فكان النبي (ص) يوزع اللبن بيننا، وكنا نرفع لرسول الله (ص) نصيبه، فيجيء، فيسلم تسليماً يسمع اليقظان، ولا يوقظ النائم...

فقال لي الشيطان: لو شربتَ هذه الجرعة، فإن النبيَّ يأتي الأنصار فيتحفونه... فما زال حتى شربتُها، فلما شربتها، ندّ مني وقال: ما صَنعت؟ يجيء محمد، فلا يجد شرابه، فيدعو عليك فتهلك...

وأما صاحباي، فشربا شرابهما وناما، وأما أنا فلم يأخذني النوم، وعليَّ شَمْلَةٌ لي، إذا وضعتها على رأسي، بدت منها قدماي، وإذا وضعتها على قدميّ، بد رأسي...

وجاء النبي (ص) كما كان يجيء، فصلّى ما شاء الله أن يصلي، ثم نظر إلى شرابه، فلم يَر شيئاً، فرفع يده، فقلت: الآن يدعو عليَّ فأهلك، وإذا هو يقول: اللهم!! أطعم من أطعمني، واسْقِ من سقاني...

فأخذت الشفرة[1] وانطلقت إلى الأعنز أجسهن، أيتهنَّ أسمن كي أذبحها لرسول، فإذا حُفَّلٌ كلهنَّ[2].

---

(١) الشفرة: السكين العريضة.
(٢) حُفّل: ممتلئات الضروع لبناً.

أخذتُ إناء لآل محمد (ص) كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، فحلبتُ حتى علت الرغوة، ثم أتيتُ رسول الله (ص)، فشرب، ثم ناولني فشربت، ثم ناولته فشرب، ثم ناولني فشربت، ثم ضحكت حتى ألقيت على الأرض، فقال لي: ماذا يا مقداد؟؟!!

فأنشأت أحدثه بما صنعت، فقال: ما كان إلا رحمةً من الله، لو كنت أيقظت صاحبيك فنالا منها.

قلت: والذي بعثك بالحق، ما أبالي إذا أصبتَها أنت، وأصبت فضلتك من أخطأت من الناس[1]

المقداد لا يقتل... طمعاً بالمال:

زعم بعض كتاب السيرة أن المقداد خرج في سرية أبي قتادة عام (٨هـ = ٦٢٩م) فقتل رجلاً طمعاً بماله، بعدما نطق بالشهادتين[2]...

إننا نرى هذا الزعم باطلاً محضاً للأسباب التالية:

١ - لقد أسر المقداد النضر بن الحارث الذي كان يساوي سَلْبُهُ مبلغاً ضخمًا من المال، ولم يقتله طمعاً في سلبه الثمين، بل ساقه هديةً إلى رسول الله (ص) يفعل فيه ما يشاء.

٢ - لمَّا أمر الرسول (ص) عليَّ بن أبي طالب (ع) أن يقتل

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء - الجزء الأول، ص (١٣٧). وراجع، ابن كثير: البداية والنهاية - الجزء الرابع، ص (٦٦٦) طبع القاهرة ١٩٦٦،

(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد - الجزء السابع، ص (٨) ط. القاهرة ١٣٥٣.

النضر أَمَرٌ عَدُوٌ لله ورسوله (ص) قال المقداد: أسيري يا رسول الله (ص)!! فقال الرسول (ص): اللهم اغنِ المقداد من فضلك، وقد أغناه الله بعد ذلك.

٣ ـ إن رجلاً يشهد له رسول الله (ص) أن الجنة تشتاق إليه[١]، لا يقدم على قتل رجل ينطق بالشهادتين ليستولي على ماله..

٤ ـ قال رسول الله (ص): لكل نبي نجباء، وإن لي أربعة عشر نجيباً عَدَّ منهم المقداد ـ إن هذه النجابة لتمسكه عن الإقدام على عملٍ لا يرضي الله...

٥ ـ لقد اتفق المؤرخون جميعاً على تسمية المقداد، فارس رسول الله (ص)، وما كان لفارس رسول الله (ص) أن يقتل مسلماً عامداً، وهو يقرأ صباحَ، مساء قول الله: ومن قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم...

هذه الأسباب مجتمعة، ومنفردة، ترد نسبة حادثة القتل هذه إلى المقداد ردًّا قاطعاً، حاسماً..

ويروي الطبري أنّ هذه الحادثة نسبت إلى رجلين آخرين من المسلمين هما: محمل بن جثامة = يزيد بن قيس، وغالب الليثي...

إذن، فكيف يُجيز مؤرخ لنفسه أن يلصقها بالمقداد، وهو من عرفناه نبلاً في دين، وصفاءً في يقين، وترفعاً عن اللمم، فكيف بالموبقات؟؟

(١) قال رسول الله (ص): أربعة تشتاق إليهم الجنة، علي، وسلمان، والمقداد، وأبو ذر.

يقول الطبري: إن محلم بن جثامة، توفي في حياة النبي، فدفنوه، فلفظته الأرض، مرةً بعد أخرى، فأمر به، فألقي بين جبلين، وجعل عليه حجارة. وقال الرسول (ص): إن الأرض لتقبل من هو شرٌّ منه، ولكن الله أراد أن يريكم آيةً في قتل المؤمن[1].

يشير الرسول (ص) بذلك إلى قتل محمل بن جثامة الرجل بعدما نطق بالشهادتين ليأخذ أمواله..

ومرةً أخرى نتساءل: كيف يبيح مؤرخ لنفسه، بعد هذا...، أن ينسب الحادثة إلى المقداد بن الأسود الكندي؟؟

المقداد يروي عن الرسول (ص):

يقول صاحب الأعلام: إن للمقداد (٤٨) حديثاً[2].

ولكن أليس غريباً أن يقف حفظ المقداد لأحاديث الرسول (ص) عند هذه القلة القليلة؟؟

لقد كان المقداد سابع رجُل يُقَدّسُ نفسه نورُ الإسلام...

وقد أحبه الرسول (ص) وأدناه حتى اصطفاه له نجيباً...

ثم وصله بنسبه الشريف فزوجه من ابنة عمه الزبير بن عبد المطلب... وامتدت حياته مع الرسول أعواماً طوالاً...

وروى عنه الحديث عشرة، عدا زوجته وابنته...

ذلك كله يجعلنا نقطع أن المقداد روى عن الرسول (ص) أضعاف ما ذُكر له...

---

(١) محمد رضا: محمد رسول الله، ص (٤١٢) ط. مصر ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م.

(٢) خير الدين الزركلي: الأعلام ـ الجزء الثامن، مادة المقداد.

إذن، فلماذا لم يُدون له إلا ثمانية وأربعون حديثا؟؟..
حقًّا إنه لأمرٌ يدعو إلى العجب، والاستغراب...

أسماء الذين رووا عن المقداد:

يقول صاحب «تهذيب التهذيب»: روى المقداد عن النبى (ص)، وروى عنه علي بن أبي طالب (ع)، وأنس بن مالك، وعبيد الله بن عدي بن الخيار وهمام بن الحارث، وسليمان بن يسار، وسليم بن عامر، وأبو معمر عبد الله بن سخبرة الأزدى، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وجبير بنُ نفير، وعمر بن إسحق، وزوجته ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، وابنته كريمة بنت المقداد، وابنته ضباعة[1]..

المقداد المضياف:

يقول ابن الأثير في الكامل: في السنة التاسعة للهجرة، قدم وفد «بهراء» على رسول الله (ص)، فنزلوا على المقداد بن الأسود الكندي[2]

ويقول الطبري: إن عدد أفراد الوفد كان ثلاثة عشر رجلا[3].

---

(١) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ـ الجزء العاشر، ص (٢٨٥ و٢٨٦ و٢٨٧) طبعة أولى فى الهند. (١٣٢٧هـ).
(٢) ابن الأثير. الكامل، المجلد الثاني، ص (٢٩٠) ط. بيروت ١٩٦٥
(٣) تاريخ الطبري: القسم الأول. (٤) ـ صفحه (١٧٢٠)مكتبة خياطة ـ بيروت.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

المقداد بعد إنتقال الرسول (ص) الى الملأ الأعلى

وفي خلوةٍ ساكنة الجوانح يناجي المقداد نفسه التي سحقها الأسى فيقول: أهكذا تـأفل شمس الهـدى التي كانت تمـلأ وجودنا نوراً..؟؟

أهكـذا، وفي مثل لمـح البصـر يغيض ينبـوع الـرحمـة، والمحبة، والخلق العظيم؟؟

ويح لنا!! كيف يغيب عنا رسول الله؟؟ وكيف نحيا بعده؟؟ ويبكي فارس رسول الله (ص)، ويبكي، حتى إذا روت دموعه منـابت الألم في نفسـه، أخـذ يفكـر في خليفـة رسـول الله (ص)...

المقداد يوالي علي بن أبي طالب (ع):

كان المقداد يحب علي بن أبي طالب حبًّا نقيًّاً استقاه من كوثر الإسلام...

فهو يعلم جهاد علي في: بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وحنين...

وهـو يعـرف تقـواه، وزهـده، وعلمـه، ـ هـذه الصفـات الشامخات التي بَزَّ بها كل الصحابة...

وهو لا يرى في ذلك غرابة، فعليٌّ قد شبَّ ونرترع في بيت رسول الله (ص)، وخصَّه الرسول (ص) بالإخاء بينه وبيْن نفسه، وزوّجه الزهراء ابنته بأمر من الله رب العالمين. . .

وهو يعلم أنَّ ما قاله الرسول (ص) فيه من أحادبث ترفعه إلى الرفرف الأخضرِ الذي يفترشه رسول الله (ص).

وهو يعلم أن الرسول (ص) بدأ إعلان دعوته الإلهية بالببعة لعلي (١) وختمها ببيعته.

بالأمس الغض قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

وإنه ليرى هذه الكلمات تأخذ بعضد عليٍّ (ع) فترفعه إلى مقعد رسول الله (ص)، وهي ما تزال وحياً ربانياً طريًّا يسألُ المسلمين الوفاء بالعهد لابن أبي طالب (ع). . .

وإن دعاءه لعلي (ع) المنبعث من قدس أقداس النبوة: اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وادر الحق معه حيث دار. . .

هذا الدعاء الحار ما يبرحُ يمضُ في عقول المسلمين قبسات من جوهر الروح المحمدي (٢).

(١) حين أمر الله رسوله بقوله. ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، دعا بني هاشم وبني المطلب وندبهم لنصرته، فأبوا جميعاً، وقام علي فقال: أنا أؤازرك يا رسول الله، فأخذ برقبة علي وقال: هذا أخي ووصيي وخليفي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا (راجع صفحة (٣٨) من كتابنا هذا).

(٢) تقول الخطط المقريزيه في المجلد الثاني صفحة (٢٢٠) ط. بيروت. وأصلهم فيه (أي الشيعة في عيد الغدىر) ما أحرجه الإمام أحمد في مسنده الكبير مں حديث البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله في سفر لنا، فنزلنا «بغدير خم» ونودي الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله تحت شجرتين فصلى الظهر، وأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟؟ قالوا: بلى قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل ـ

ولكم قال رسول الله (ص): عليٌّ مني، وأنا من علي[1].

وهو يتذكر أن جابر بن عبد الله سأل الرسول (ص) عن ميلاد علي فقال: سألتني عن خير مولود، ولد في شبه المسيح، وأن الله تبارك وتعالى خلق عليًّا من نوري، وخلقني من نوره، وكلانا نور واحد[2].

مؤمن من نفسه؟؟ قالوا بلى فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: فلقيه عمر بن الخطاب فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، وراجع الاستيعاب. ابن عبد البر - الجزء الثالث، ص (١٦)، بهامش الإصابة طبعة جديدة (بالأوفست) بغداد، وراجع العقد الفريد. ابن عبد ربه - الجزء الخامس، ص (٥٨) وراجع؛ الشبلنجي الشافعي: نور الأبصار، ص (٧١) المطبعة السعدية بجوار الأزهر الشريف، وراجع، الشيخ محمد الصبان: إسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار، صفحة (١٥١) حيث نراه يقول. رواه عن النبي ثلاثون صحابيا، وقد أورد الحديث على الصيغة التالية. من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبَّ من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار» وراجع المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص ٤٣٥. وراجع الشيخ الأميني. الغدير، المجلد الأول، حيث أورد المؤلف أسماء رواة لحديث من الصحابة مرتبة حسب حروف الهجاء، وقد بلغ عددهم (١١٠) وذكر أسماء رواة الغدير من التابعين فبلغ عددهم (٨٤) ثم ذكر طبقات الرواة للحديث من العلماء حسب الوفيات فإذا عددهم (٣٦٠)، وذكر اسماء المؤلفين في الغدير فبلغ عددهم (٢٦)، كما ذكر أسماء الذين (توسدوا بالغدير) من الصحابة، فسهدوا به، كل ذلك مفصلا من صفحة (١٤-٢١٣)، ط دار الكتاب العربي - بيروت، من منشورات الحاج. حسن إيراني

(٢) راجع صحيح البخاري، المجلد الثاني - الجزء الخامس، ص (٢٢) مطابع الشعب، ١٣٧٨هـ

(٣) العلامة الكنجي الشافعي كفاية الطالب، ص (٢٦٠-٢٦١)، وراجع للإمام أحمد بن حنبل: كتاب الفضائل والمناقب، ص (٢٠٥) حيث تراه =

من أجل هذا، كان المقداد يحب عليًا، ومن أجل هذا كان لا يشك في أنه سيلي الخلافة بعد ابن عمه رسول الله (ص).

وإنه ليحس راحةً صافية تشبُّ ابتهاجاً في دنيا ذاته. إذ يتولّى علي بن أبي طالب (ع) الأمر بعد رسول الله (ص)....

ولكن....

ويصمت...

ولكن ماذا؟؟؟

لقد رأيتُ عَجَباً، رأيت الرسول (ص) يصر على بعث أسامة، ولكن الصَّحابة يُعَوِّقون «البعث» عن السفر تحت ستار: إن رسول الله (ص) مريض...

هو يُلح عليهم بالمسير، وهم يرفضون[1]...

= يروي عن: سلمان الفارسي، عن رسول الله (ص) أنه قال: سمعتُ حبيبي رسول الله يقول: كنتُ أنا وعلي نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق ادم بأربعة عشر الف عام. ونقله عن الإمام أحمد بن حنبل: سبط ابن الجوزي الحنفي، في «تذكرة الخواص»، ص (٥٢) وأخرج ابن المغازلي عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي ذر، قال: سمعت رسول الله يقول: كنت أنا وعلي نوراً عن يمين العرش، بين يدي الله عز وجل، يسبح الله ذلك النور ويقدسه، قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلم نزل أنا وعلي شيئاً واحداً، حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، فجزء أنا، وجزء علي. وراجع كتاب «قبس من القرآن» للخطيب البغدادي من صفحة (٣١٢-٣٣٧) ط. ١٣٨٩هـ. ففيه بحثٌ ضافٍ في هذا الموضوع؛ وراجع الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: ينابيع المودة، طبعة ثامنة، ص (١١٤)، حيث نرى الرسول يقول: إني وأهل بيتي، كنا نوراً يسعى بين يدي الله، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف سنة» الخ

(١)- ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج - المجلد الثاني، ص (٣١)، حيث

ورأيتُ الرسول (ص) يقول: آتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، فيرفضون أيضاً، ويقولون: رسول الله غلبه الوجع... ورسول الله يهجر[1]..

وينهض المقداد بعصبية ثم يقول: كان ذلك معصيةً لرسول الله، وجرأة على مقام النبوة الأسمى...

- يقول: «إن رسول الله في مرض موته أمَّر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار، منهم: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة والزبير، وأمره أن يغير على «مؤتة» حيث قتل أبوه زيد، وبغزو وادي فلسطين، فتثاقل أسامة، وتثاقل الجيش بتثاقله، وجعل الرسول في مرضه، يثقل، ويخف، ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتى قال له أسامة: أتأذن لي أن أمكث أياماً، حتى يشفيك الله؟؟

فقال: اخرج، وسر على بركة الله، وراجعه ثانيةً مستأذناً بالبقاء، فقال: سر على النصر والعافية، وراجعه ثالثة، فقال: أنفذ لما أمرتك به. ثم سأل عن أسامة والبعث، فأخبر أنهم يتجهزون، فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلّف عنه، وكرر ذلك»

(1) يقول صحيح البخاري: الجزء الأول، ص (٣٩)، باب كتابة العلم: لما اشتدّ بالنبي وجعه قال: أئتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، قال عمر. إن النبيَّ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله، حسبنا، فاختلفوا، وكثر اللّغط، فقال: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: «إن الرزيّة كل الرزيّة ما حال بين رسول الله، وبين كتابه».

وأورد صحيح البخاري في المجلد الثاني ـ الجزء الرابع، صفحة (١٢١)، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، عن ابن عباس. أنه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس؟؟ ثم بكى حتّى بَلّ دمعه الحصى، فقال له سعيد بن جبير (راوي الحديث) يابن عباس!! ما يوم الخميس؟؟ قال: اشتدَّ برسول الله وجعه، فقال: ائتوني بكتف اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فتنازعوا ـ ولا ينبغي عند نبي تنازع ـ فقالوا: ماله؟؟؟

أهجر؟؟

استفهموه».

إنما لماذا تأبّـوا السفر مع «جيش» أسامة؟؟..

ولماذا حال عمـر بن الخطاب بين الـرسول، وبين كتـابه الكتاب الذي وصفه. بأنهم لن يضلوا بعده؟؟؟

ويمتد حوار خافتٌ بين عقله ونفسه، شيئا بعد شيء..

وفجأةً يندفع قائلا: لا، ليس ثمة أحد يستطيع أن يحجب عليًّا عن مقعد رسول الله...

وتدخل عليه ابنته كريمة تقول: ما بـالُ أبي؟؟ إنك تبدو مضطرباً، متهيّجا... فلمَ؟؟

ـ لا شيء يابنة المقداد، أفكارٌ تدور في خاطري... تثير القلق... أين والدتك؟؟ لقد تأخرت...

ـ هي ذي قادمة بُثقل خطوها سباً من الأحزان...

وتصل ضباعـة بنت الزبيـر بن عبد المـطلب، فيقول لها المقداد: لقد تأخرت يا أم معبد، كان ينبغي أن لا أغيب عن جوار جثمان رسول الله هذه الهُنيهة.

فقالت بنبرة باكية: أجل، ولكن أتعلم ماذا حدث في ساعة غيابك؟؟

ـ ماذا حدث يابنة الزبير!!

ـ بايع عمر أبا بكر بالخلافة، وبايعه أبو عبيدة، وخالد بن الوليد، وبشير بن سعد الأوسي وغيرهم...

فقال بهياج عاصب: كيف؟؟ كيف يحدث هذا؟؟ كيف تم وعلي بن أبي طالب موجود؟؟

ـ سمعوا أن بعض الأنصار مجتمعون في سقيفة بني ساعدة،

فتركوا جثمان رسول الله، ومضوا إلى هناك...

ـ ثم ماذا؟؟

ـ في السقيفة قال عمر للمجتمعين من الأنصار، نحن شجرة الرسول، والعرب لا تطيع إلا قريشاً، وقال لسعد بن عبادة الخزرجي الذي كان يبحث أمر الخلافة، أنت رئيس الخزرج، والأوس لا ترضى أن تكون لكم رئاسة تتأمرون بها عليهم، ثم أخذ بيد أبي بكر فبايعه؛... وقد أثار كلامه الدم القبلي في بشير بن سعيد أحد وجوه الأوس، فقام وبايع أبا بكر كيداً للخزرج...

ـ وعلي، وبنو هاشم؟؟

ـ عليٌ يشغله جهاز رسول الله... والصلاة عليه... وبنو هاشم حول بيت الرسول يبكون رحيله عنهم...

ـ والأمويون؟؟

ـ لم يحضرها أموي...

ـ وعمار، وأبو ذر، وسلمان، والزبير... و... و... لم يحضروا، ولم يبايع أحد من الخزرج، ولقد ذكر بعض الأنصار عليٌ بن أبي طالب، فكان ذلك حافزاً لعمر أن يعقد البيعة لأبي بكر بسرعة[1].

---

(١) قال ابن الحديد المعتزلي في شرح النهج ـ المجلد الأول ـ الجزء الثاني، صفحة (١٥٤) طبع دار الفكر ـ بيروت: إن أبا بكر خطب الناس، واعتذر لهم، وقال: إن بيعتي كانت فلتة وقى الله شرها، وروى ابن الحديد في الصفحة (١٤٥) من المصدر نفسه أن عمر بن الخطاب خطب فقال: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد لمثلها فاقتلوه. راجع من صفحة (١٤٤ ـ ١٥٠). قال محمد هانيء المغربي: ولكن أمراً كان أبرم بينهم، وإن =

ويمضي المقداد في تأمل باطني سحيق فتتراءى له صورتان بارزتان تجمعهما لوحة واحدة: صورة منع «بعث» أسامة... وصورة منع الرسول من كتابة الكتاب الذي ينقذ المسلمين أبد الآباد من مهاوي الضلال... وتأتي بيعة أبي بكر، فتكمل بألوانها وظلالها رسم اللوحة الفنية المعبرة...

ثم يترك داره في «الجرف» ويسعى إلى المدينة وهو يقول: يا للأمر العجاب المروع!!!

* * *

ويدخل بعضهم دار أبي بكر في «السنح» بعد هزيع من الليل، فيجد فيه: أبا بكر، وعمر، وأبا عبيدة، وخالد بن الوليد، فيخبرهم: أن المقداد بن الأسود يعقد اجتماعاً سريًّا في دار أُبي بن كعب، مع أبي ذر، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وغيرهم...

ـ وماذا دار في الاجتماع؟؟

ـ قال المقداد: أما كان أولى بعمر وأبي بكر أن يقولوا للمجتمعين من الأنصار: رويداً يا أخوة الإيمان، حتى نواريَ جثمان نبينا العظيم جدث الرحمة، ثم نجتمع فنبرم أمرنا كما يحب الله ورسوله؟؟!!

وقال: كيف يتركون رسول الله على المغتسل، ويستغلون اشتغال علي وأهل بيته بتجهيزه، ويستولون على ميراثه...؟؟؟

= قال قوم فلتة غير مبرم (وراجع الطبري، قسم أول ـ ٤ ـ ص ١٨٢٢ أحداث عام ١٣.

فقال عمر: وهل ثمة شيء آخر؟؟

- اتفقوا على رفض البيعة، وجعل أمر الخلافة شورى بين المسلمين...

ويرسل عمر إلى المغيرة بن شعبة، ليسمعوا رأيه، فيرى أن يذهبوا إلى العباس، ويقولوا له: سنضع هذا الأمر في ولدك بعد أبي بكر، فيبايع، وينتهي الهاشميون إلى صراعٍ وبغضاء...

وردًّا على مؤتمر المقداد وصحبه، كان يدخل مسجد رسول الله (ص) في الصباح الباكر، قبل ارتفاع الأذان أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، وسالم، وخالد، وكلما دخل أحد المسجد حملوه على البيعة حملاً...

وفي الضحى يقول العباس للمقداد: إن القوم جاؤوه يعرضون عليه أن يبايعوا أحد أبنائه بعد أبي بكر، على أن يبايع فردهم، ردًّا قاطعاً[1].

وبينما كانت الأمور تطرد على هذا النحو لتثبيت البيعة لأبي بكر، كان بيت علي بن أبي طالب (ع) يتلهب جمراً من الآلام. فهناك فاطمة بنت رسول الله (ص) ما برحت أنفاسها تتصاعد أنيناً يحرك في الأفئدة غصص الدموع...

وهناك سبطا رسول الله: الحسن والحسين، ما زالت عيونهما تكف قطرات الأسى على فقد جدهما رسول الله...

---

(١) راجع، عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي بن أبي طالب - الجزء الأول، ص (١٨٠ - ١٨١) منشورات مكتبة العرفان - بيروت.

وهناك علي (ع) الذي فقد أخاه، وابن عمه، يتحمل عبء الفاجعة المزلزلة بقلب المؤمن الصابر الصادق...

هنا حزن يجرح الأعصاب بأظافره النارية...

وهناك، عند قريش فرحة بِكْر... أَلَمْ تُبعد علي بن أبي طالب (ع) عن مقعد رسول الله (ص)؟؟ أما أصبح السلطان سلطانها؟؟

وكان هنالك قبيلٌ ثالث من أصحاب رسول الله (ص) يردون بيت علي كَسَارى النفوس، يشوي الحزن قلوبهم على نار الألم، لفقد رسول الله، ولما فَعَلَتْه قريش بعقد البيعة لأبي بكر، وتظاهرها على ابن أبي طالب (ع) الذي حبه إيمان، وبغضه نفاق[1]..

ورغم سيطرة ذلك المناخ القاتم، اللهيف، لم يجدوا مَفَرًّا من بحث الوضع السياسي الجديد، ومناقشته...

ويبدأ النقاش خافتاً، رزيناً، حزيناً...

ويُطبقون جميعاً على أن قريشاً تضافرت على علي بن أبي طالب (ع) حتى سلبته مقعده من رسول الله، وأن ذلك، قد يؤدي بالإسلام إلى الانحراف عن مساره الرحماني... وإلى أن

(١) الثابت الذي لا خلاف عليه من المسلمين قاطبة أن رسول الله قال لعلي: يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، راجع في ذلك، صحيح مسلم ـ الجزء الأول، صفحة (٦١) ط. مصر. وراجع ابن عبد البر: الاستيعاب في هامش الإصابة ـ المجلد الثالث، ص (٣٧). وراجع الشيخ محمد الصبان الشافعي: إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار، ص (١٥٤) وراجع، الشبلنجي الشافعي: نور الأبصار، ص (٧١)، ط. مصر...

يخفض جناحيه تحت سَماء الجليد الرصاصية...

ولكنِ، هل نستطيع نحن، في عصرنا هذا أن نُسَلِّم بهذا الرأي ونُقِرّه؟؟

لا ريب أن استقراء الأحداث التاريخية وتحليلها بمبعدٍ عن الهوى المتعصب يؤكد لنا أن قريشاً قد تضافرت على إبعاد علي (ع) عن مقامه من رسول الله (ص)،... وأن أبناء الصحابة من قريش، وقفوا من أهل البيت المحمدي - علي (ع) وأبنائه موقف آبائهم...

فقريش انحازت إلى عمر حين بايع أبا بكر... ووقفت مع عمر تشد أزره حين بايعه أبو بكر وكانت مع عثمان حين خَصّهُ عمر بالخلافة.... ووقفت عند بيعة علي مع: عائشة، والزبير، وطلحة، عندما نكث هذان بيعتهما لعلي، يقول الطبري في الصفحة (٣٢١٣) «أخذ خُطام جمل عائشة سبعون رجلاً من قريش كلهم يقتل» وحين استولى معاوية بن أبي سفيان على الحكم صَفَّقوا لمعاوية وباركوه... وبايعوا يزيد حينما فرضه معاوية حاكماً للمسلمين... وهذا يدفعنا للتساؤل: لماذا وَقَفَ الصَّحابة وأبناؤهم من قريش ضد البيت المحمدي المطهر من الرجس؟؟[1].

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه: عن عائشة قالت: خرج النبي غداة وعليه مِرْطٌ مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً. راجع الجزء السابع من صحيح مسلم، ص (١٣٠) ط. مصر. (باب فضائل أهل البيت)، وأخرج مسلم في =

ثمة سببان يطرحهما واقع تلك الفترة التاريخية من الزمن يجيبان على هذا التساؤل.

الأول: كانت قريش مؤمنة أن علي بن أبي طالب سيسير فيهم، إذا تولّى الخلافة سيرة رسول الله، فلا طبقية تهينم على المجتمع العربي ـ الإسلامي... ولا استغلال لطاقات سواعد الجماهير الكادحة، بل عدالة إسلامية ـ اجتماعية، قيمة كل امرىء ما يحسنه...
وقريش تود غير هذا... إنها تتشهّى أن تعيد سيطرتها الجاهلية تحت لواء الإسلام...

الثاني: إن قلوب قريش مشحونة بالضغن على ابن أبي طالب (ع)، فهو قد فَوَّتَ عليهم قتل الرسول (ص) يوم الهجرة... وهو الذي جَزَّ بسيفه، في معارك: بدر، وأحد، والخندق، أعناق أماليد شبانها... وأبطالها الذين كانوا يريدون أن يطفؤوا نور الإسلام...

وجهاد علي (ع) وإخلاصه لمبادىء الإسلام، هو الذي رفعه مكاناً عليًّا عند الله ورسوله (ص) والمؤمنين...

وجهاده هذا الذي رفعه مشعلاً في دنيا العقائد، هو الذي جعل قريشاً تكرهه، وتكيد له، ولأبنائه من بعده كلما وجدت إلى الكيد سبيلاً...

= صحيحه: أنه لما نزلت آية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول الله عليًّا وفاطمة وحسناً وحسينا فقال: اللهم هؤلاء أهلي (راجع باب من فضائل علي، ص (١٢٠ ـ ١٢١ من المصدر السابق.

ومن الواضح أن أكثر قريش لم تدخل في دين الله مختارة . . رأت أن الله قد أظهر الإسلام، . وأنها لا طاقة لها بدفعه، فدخلت فيه، ولكن، لم يرتفع بها إسلامها إلى درجة الإيمان الذي يَجُبُّ أحقادها الجاهلية الظمأى للتأر من علي (ع)، الذي يُحبُّ الله ورسوله (ص)، ويُحبه الله ورسولُه (ص)[1]، والذي هو من رسول الله (ص) بمنزلة هرون من موسى[2].

ذلكم - في رأينا - هما السببان اللذان جعلا قريشاً تكيد عليًّا (ع) وأهل بيته النبوي. . .

وهذه الحقائق، أخذ يُدركها، ويظهرها للناس، علماءُ، وأدباء معاصرون من خريجي الأزهر الشريف في مصر ومن غير خريجي الأزهر.

لِنُلْقِ بآذاننا إلى الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود، يحدثنا عن

(1) أخرج البخاري في المجلد الثاني - الجزء الرابع من صحيحه، صفحة (٦٥) مطابع الشعب، ١٣٧٨هـ. عن سلمة بن الأكوع أن الرسول قال يومَ خيبر: لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسولَه ويحبه الله ورسوله يفتح الله علـى يديه، فأعطاها عليًّا فمتح الله عليه (باب ما قيل في لواء النبي)، وراجع، صحيح مسلم، الجزء السابع، صفحة (١٢١)، باب فضائل علي بن أبي طالب، ط. مصر. وزاد فقال: قال عمر بن الخطاب، ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال فتساورتُ لها، رجاء أن أدعى لها قال. فدعا رسول الله علي بن أبي طالب فأعطاه إياها

(2) أخرج مسلم في الصفحة (١٢٠) من المصدر السابق عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله قال لعلي (يوم تبوك) أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وراجع صحيح البخاري - الجزء السادس صفحة (٣) باب غزوة تبوك

ذلك، فيقول: «كان عليٌّ يعلم هذا من قريش (أي حقدها عليه) ويعلم أن عُلُوَّ آله عليها هو سَبَبُ خذلانها إياه، كما سَعَتْ من قبل إلى خذلان محمد، لولا أن قهرها على الالتفاف حوله، أما وقد أصبحت اليوم تستطيع أن تنصر، وتستطيع أن تخذل، فقد سارعت تمد أكفها إلى شيخ بني تيم (أبي بكر) مؤيدةً، وتلوي رقابها عن الأُوْلَى ببسط الكف، واجتماع الآراء...».

«كرهت قريش إذن أن يذهب بشرف السلطان عليها رجل من الأُلى باؤوا في العصور بمر حقدها عليهم، وأَبَتْ أن تجمع لدار هاشم شرفين: شرف النبوة، وشرف الخلافة، ولو كانت استطاعت أن تخلع عن رقابها هذا الشرف الأول لما توانت، كما سارعت إلى الثاني تنفضه عنها»[1].

وهذا الأستاذ عبد الكريم الخطيب يقول تحت عنوان «خاطرة»: «وهذا الذي كان من علي ليلة الهجرة، إذا نُظر إليه في مجرى الأحداث التي عرضت للإمام علي في حياته بعد تلك الليلة، فإنه يرفع لعيني الناظر، أمارات واضحة، وإشارات دالة، على أن هذا التدبير الذي كان في تلك الليلة، لم يكن أمراً عارضاً بالإضافة لعلي، بل هو حكمة لها آثارها، ومعقباتها، فَلَنَا أن نسأل: أكان لإلباس الرسول شخصيته لعلي، تلك الليلة، ما يوحي بأن هناك جامعة تجمع بين الرسول وبين علي، أكثر من جامعة القرابة القريبة التي بينهما؟؟..

(١) عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي بن أبي طالب ـ المحموعة الكامله ـ المجلد الأول، ص (١٧٩).

«وهل لنا أن نستشفَّ من ذلك، أنه إذا غاب شخص الرسول، كان عليٌّ هو الشخصية المهيأة لأن تخلفه، وتمثل شخصيته، وتقوم مقامه؟؟

«وأحسب أن أحداً قبلنا لم ينظر إلى هذا الحدث نظرتنا إليه، ولم يقف عنده وقفتنا تلك، حتى شيعة علي، والمبالغين في التشيع له، فإننا نراهم لا يلتفتون كثيراً إلى هذه الواقعة، ولا يقيمون منها شاهداً يشهد لعلي، أنه أولى الناس برسول الله، والقيام مقامه، على حين نراهم يتعلقون بكل شيء يرفع عليًّا إلى تلك المنزلة، وأحسب كذلك، أننا لم نَتَعَسَّفْ كثيراً، حين نظرنا إلى علي، وهو في بُرْدِ رسول الله، وفي مثوى منامه الذي اعتاد أن ينام فيه، فقلنا: هذا خلف رسول الله، والقائم مقامه».

«ثم نحن إذا نظرنا إلى علي، وهو يواجه قريشاً، بعد أن فعل فعلته بها، وبعد أن صفعها تلك الصفعة المذلة المهينة، ثم تصفحنا هذه الوجوه المنكرة، وتلك الأعين المحدقة، وهي ترمي عليًّا بنظراتها الحارة المتوعدة، إذ خدعها عن محمد، ومكر بها، حتى أفلت محمد من بين يديها - ألا يذكرنا هذا المشهد بما كان من قريش لعلي، وإرهاقها له، وتجنيها عليه، بعد أن دَخَلَتْ في الإسلام، حيث لم ير منها إلا حنقاً عليه، وكيداً له، وازوراراً عنه»؟؟

وإن لك أن تقول: إن الفرق كبير بين قريش الملحدة الكافرة، المتحدية للرسول، ولمن يجتمع إلى الرسول، وبين قريش المسلمة، المستجيبة لرسول الله، والمجاهدة في سبيل الله . . .

ولكن، لنا نحن أيضاً أن نقول: إنه ، إذا كان الإسلام، قد ذهب بسخائم النفوس، وضَمَّدَ جراحات القلوب، فإنه قد بقي في كثيرٍ من النفوس بعض هذه السخائم مندسةً خامدة، إذا حركتها الأحداث تحركت، وبقي في بعض القلوب ندوب، وهي ساكنةً ما سكنتِ الأحداث، فإذا طاف بها طائف من المواقف المتأزمة، نَفَرَتْ، وألقت بما فيها من قيح وصديد»

«إن هذا الذي كان من علي ليلة الهجرة، في تحديه لقريش، هذا التحدي السّافر، وفي استخفافه بها، وقيامه بينها ثلاثة أيام، يغدو ويروح - إن ذلك لا تنساه قريش لعلي أبداً، ولولا أنها وجدت في قتله يومئذ إثارةً للفتنة، تُمَزِّقُ وحدتها، وتشتت شملها، دون أن يكون في ذلك، ما يبلغ بها غايتها في محمد، لولا ذلك لقتلته، وَشَفَتْ ما بصدرها منه، ولكنها تركته ، وانتظرت الأيام لتسويَ حسابها معه. . .

«وأمر آخر. . . هاجر الرسول (ص) إلى المدينة، وَتَرَكَ وراءه في مكة قلوباً مضطغنةً عليه، مغيظة منه، متحرقةً إلى ضره وأذاه. . . واستقبل في مهاجره الجديد وجوهاً فياضةً بالبشر، وقلوباً عامرةً بالخير والحب. . .

وها هو ذا علي (ع) يخلف رسول الله (ص)، في هذا المجتمع المضطرب، ومع هذه الجماعة الحانقة المبغضة، يعيش معها أياماً، ثم يلحق بالرسول (ص) في مهاجره الجديد. . .

ثم مضى الرسول (ص) إلى ربه، ولحق بالرفيق الأعلى، وانتقل من دارٍ إلى دارٍ خير منها - أشبه بانتقاله مهاجراً من مكة

إلى المدينة، وترك عليًا (ع) وراءه، يصطدم بالأحداث، ويكابد الشدائد، حتّى يلحق بالرسول (ص) في الرفيق الأعلى، كما لحق به في مهاجره من قبل»[1].

وهذا الأستاذ جودة عبد الحميد السحار يقول في كتابه «غزوة بدر»: «وراح عليٌّ بن أبي طالب يفعل بقريش الأفاعيل، فما من رهط من بيوت شرف قريش، إلاّ وقد قَتَلَ منه رئيساً. إنه ترك حنظلة بن أبي سفيان مجدلاً بسيفه، فأوغر صدور الأمويين، وقتل الوليد بن عتبة بن ربيعة، فقلب عليه بني عبد شمس، واشترك مع عمه في القضاء على طعيمة بن عدي، وترك الحارث بن زمعة بن الأسود كأمس الدابر، فأصبح هدف أحقاد بني أسد، وزاد في حقدهم أنه ثنَّى بنوفل بن خويلد بن أسد.

وأضاف إلى الأحقاد، أحقاد بني تيم، لما صرع عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب، بن سعد بن تيم، بضربة من حسامه. وقطع رأس أبي قيس بن الوليد، أخي خالد بن الوليد، فاكتسب عداوة بني المغيرة، وبني مخزوم، وأضاف إليه مسعود بن أمية بن المغيرة، وحاجز بن السائب المخزومي، فكانت قلوب بني المغيرة، وبني مخزوم كلها عليه».

وقتل من بني سهم خيرة رجالهم: جَدَّل منبه بْنَ الحجاج، ونبيه بْنَ الحجاج، والعاص بن مُنبه بن الحجاج، وأبا العاص بن

(١) عبد الكريم الخطيب: علي بن أبي طالب من صفحة (١٠٥ـ١٠٧) طبعة ثانية ـ بيروت (١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م).

قيس بن عدي بن سعد بن سهم، فكان فتى بدر، أطاح برؤوس أبناء الشرف من قريش في سبيل الله، فبذر الغل في الصدور، وراح يقاسي مرارة الأحقاد، على مَرِّ الأيام، وإن جاء الإسلام، حتى آخر الأنفاس»[١].

وقال الدكتور علي شلق: «ولشمائل علي النادرة، خاصمه عصره، فلم يهبط إلى درجته، ولم يرتفع عصره إلى فهمه، وبقيت بقايا عميقة في نفوس القرشيين من الحقد عليه، إذ هم لم ينسوا مصارع أبنائهم، في معارك الإسلام، التي نصر فيها الإمام دعوة رسوله (ص)»[٢].

ويقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون في كتابه «خطط الكوفة»؛ «لم يكن مع الخليفة علي بن أبي طالب في واقعة (صفين) من قريش إلا خمسة، بينما انحاز إلى معاوية ثلاثة عشر بطناً من بطون قريش»[٣].

---

(١) راجع عبد الحميد جودة السحار: غزوة بدر، ص (٦٥ و٦٦). ط. دار الطباعة في مصر ـ ٣٧ ـ شارع كامل صدقي.

(٢) راجع الدكتور: علي شلق: كواكب الإسلام ـ الإمام علي بن أبي طالب، ص (١١٣) ط. دار المسيرة ـ بيروت، ط. أولى، ١٩٧٩.

(٣) لويس ماسينيون: خطط الكوفة، ص (١٣)، وماسينيون عضو في كثير من المجامع العلمية ـ شرقية وغربية، وله مؤلفات عديدة في الشؤون الإسلامية، ولا سيما الصوفيَّة منها، وراجع: رمزية عبد الوهاب الخيرو: إدارة العراق في صدر الإسلام، صفحة (١٧٤) ط. دار الحرية في بغداد ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م. أما الخمسة الذين كانوا مع علي فهم: محمد بن أبي بكر من (تيم) قريش، ربيب علي، وهو ابن أسماء بنت عميس من أبي بكر الصديق.، وجعدة بن هبيرة من «مخزوم» قريش، كان مع علي كونه ابن أخته أم هاني. ومحمد بن حذيفة العبشمي، وهاشم بن عتبة الزهري ورجل

هذه الحقائق التي يكشف عنها المتحررون فكريًّا من مثقفي هذا العصر، كان يعيها أصحاب الرسول (ص) الذين يأتون بيت علي (ع) وعياً تامًّا، وعلى رأسهم: المقداد بن الأسود الكندي.

وكان أشدهم وَعْياً لها، علي بن أبي طالب (ع)، لأنه يعرفُ بغض قريشٍ له... ولأن رسول الله (ص) أنبأه أنه سوف يكون مرمى لأضغان قريش، بعد مماته.

يروي الفاضل الشبلنجي الشافعي، المدعو بـ«مؤمن»، في كتابه نور الأبصار «أن رسول الله (ص) عانَقَ عليًّا يوماً، ثم أجهش بالبكاء، فقال له علي (ع): ما يبكيك يا رسول الله ؟؟!!

ـ ضغائن لك، في صدور قوم، لا يبدونها لـك، إلا بعد موتي»[1].

إذن، فعليٌّ (ع) كـان يعـرف ذلـك... ومن رسـول الله (ص)... ولهذا كان يتلقّى الصحابة الذين يطلبون إليه، أن يعلن نقض بيعة أبي بكر، بأحضان محبته، ويُلَطِّف من توقّدهم

= آخر، لم يُسَمِّه المؤرخون». راجع ، محمد تقي التستري: قضاء أمير المؤمنين علي، ص ٣٢٨، ط. دار التربية ـ بغداد: ١٩٧٩. وراجع كنز العمال ـ كتاب الفضائل الجزء السادس صفحة (٤٠٨)، نقلاً عن البزار، وأبي يعلى وغيرهم.

(١) الشبلنجي الشافعي: نور الأبصار، ص (٧٢). وراجع الحافظ القندوزي الحنفي: ينابيع المودة، ط (٨)، ١٩٤٤، ص (١٣٥) حيث ترى الرسول يقول لعلي: «اتّقِ الضغائن التي في صدور قوم أخبرني جبريل: أنهم يظلمونك بعدي، وأن ذلك الظلم عظيم لا يزول»، راجع المحب الطبري: الرياض النضرة الجزء الثاني، ص (٢١٠) نقلاً عن مناقب أحمد، وغيرها.

الساخط بكلماته الهادئات، الزاكيات...

كان الصحابة من محبي علي (ع) يرون: أن الخلافة حَقٌّ لعلي (ع)، قضى به الله ورسوله (ص)...

وكانوا يرون أن عليًّا (ع) لو رفع صوته محتجًّا بقرابته من رسول الله (ص)... وبأقوال الرسول (ص) فيه...لتوقَّف مَدُّ بيعة أبي بكر توقفاً تامًّا...

وكانوا يرون: لو أن عليًّا، لَوَّحَ بذي الفقار، لانصهرت بروق المطامع... وانتهى كل شيء... إلى خمود...

أما عليٌّ (ع) فكان يرى غير ما يرون...

كان يعلم، أنه لن يسفر عن (قرآن الاحتجاج) صباح، لأن كل ما سيتحدَّث به، معروف لدي جميع المسلمين...

وكان يعلم أنه مسيح جديد في «مملكة قيصرية».

وأن خَشَبَةَ صلبه، تُنْحَتُ برفقٍ، ودهاء.

ولكنه لم يكن يخشى الصلب... فهو مستعدٌّ لتقبُّل مأساة عيسى كلمة الله...

وإنما كان يخشى تصدعاً لبناء الإسلام.

كان يخشى أن يطمر قياصرة قريش، جواهر الإسلام، تحت رماد جاهليتهم، فيحجبون عن الإنسانية جنات نعيم الروح والجسد، فيصبح الإسلام بذلك هيكلاً خاوياً من الروح...

ذلك شيء من حسابات علي (ع)، في تلك الغمرة التي تنفث سُحُباً من الدخان الكثيف... لم يتبين ضميره بسببها من المسلمين إلا القليل القليل...

ويأتي المقداد يوماً على رأس وفدٍ من الصحابة يقول لعلي (ع): ابسط يدك نبايعك...

فماذا قال لهم؟؟..

لِنُصْغِ إلى أبي جعفر الإمام محمد الباقر يقص علينا خبر ذلك، قال: «جاء المهاجرون والأنصار، بعد بيعة «أبي بكر» إلى علي (ع)، فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين، وأنت والله أحقُّ الناس وأولاهم بالنبي (ص)، هَلُمَّ يدك نبايعك..

فقال علي (ع): إن كنتم صادقين، فاغدوا عليَّ محلِّقين»...

فَحَلَقَ سلمان، والمقداد، وأبو ذر، ولم يحلق غيرهم، فكان المقداد أَحَدَ ثلاثة عرف لعليٍّ (ع) حقه»[1].

ويُبصر علي (ع) عيون الذئاب ترمي صرح الإسلام بالشرر...

إنها تتلهف أن ترى نابت الشقاق يعظُم بين أصحاب رسول الله (ص)، لتجد جرأة على رفع سيوف الضلال في وجه الإسلام... ويرى أن عليه أن يستمر في الحفاظ على بقاء الإسلام نبع طاقات خَلّاقة تحرك البشرية دوماً في مصاعد التطور الحضاري الفاعل... فإذا هو يقول للمقداد: يا مقداد!! لن يضير عليَّ بن أبي طالب، ولا أبناء علي، وهم وحدهم أهل بيت محمد رسول الله، أن يَبْذُلُوا من قلوبهم دماء يحيى بن زكريًا في سبيل بقاء كتاب الله، وشهادة: لا إله إلا الله ، محمد

(١) الطوسي: اختيار معرفة الرجال، صفحة (٩).

رسول الله. . .، نبراساً هادياً للأجيال بعد الأجيال حتى قيام الساعة. . .

ويشاهد المقداد عيني علي (ع) تلمعان ببريقٍ عجيب. . . باهر. . . وهو يقول تلك العبارات، التي تبدو، وكأنها تلف في مضامينها سِرَّ خلود الإسلام. . . وعظمة الإسلام. . . وأشياء أخر. . .

وينهض علي (ع)، فيمضي إلى أبي بكر فيبايعه. . . ثم يبايعه المقداد، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، وسلمان، وغيرهم. . .

يوم اليرموك

المقداد في معركة اليرموك:

العام (١٣هـ)، وفي يوم الخميس من شهر رجب من هذا العام، بدأت معركة اليرموك.

كان رسول الله (ص) قد وعد المسلمين يوم الأحزاب (الخندق) أن الله سيفتح عليهم بلاد فارس، والروم. . .

وكانت هاتان الدولتان تفرضان على العالم ظلماً اجتماعيًّا خانقاً. . . واستعباداً باطشاً. . .

ولم يكن لينقذ العالم من محنته هذه، إلا «ايديولوجية» الإسلام التي ترفع عن الإنسان كل أنواع الظلم. . . وتجعل من الناس إخوة (إنما المؤمنون إخوة)[١]، وتساوي بين الجميع

(١) سورة الحجرات آية ١٠.

الحقوق والواجبات (الناس سواسية كأسنان المشط)[1].

وقد انتقل الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى بعدما اكْمَلَ الله الدين..

وكان لا معدى للخليفة الذي يأتي بعده من أن يعمل لنشر الرسالة المحمدية، وتخليص الإنسانية من الشرور التي تحرقها..

ويدخل العام الثالث عشر للهجرة المحمدية، فيستشير أبو بكر الصحابة... ثم يجهز جيشاً إلى الشام، ويعقد لواء هذا الجيش لخالد بن سعيد بن العاص، ولكنه يعزله من القيادة، قبل أن يتحرك الجيش، ويولي مكانه يزيد بن أبي سفيان.

لماذا عزله؟

يقول الطبري: «كان سبب عزل أبي بكر خالد بن سعيد، أن خالداً حين قدم من اليمن، بعد وفاة رسول الله (ص)، تربّص ببيعته شهرين، وقد لقي (أي حين مجيئه من اليمن) علي بن أبي طالب (ع)، وعثمان بن عفان، فقال: يا بني عبد مناف!! لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم[2]...

فأما أبو بكر فلم يحفلها عليه، وأما عمر فاضطغنها عليه... فلما أمَّرَه أبو بكر، أخذ عمر يقول له: أتؤمره، وقد صنع ما

---

(١) حديث نبوي..

(٢) أبو هلال العسكري يقول. إن خالداً خاطب علي بن أبي طالب وحده بذلك الخطاب.

صنع، وقال ما قال...؟ فلم يزل بأبي بكر حتى عزله، وولى مكانه يزيد بن أبي سفيان».

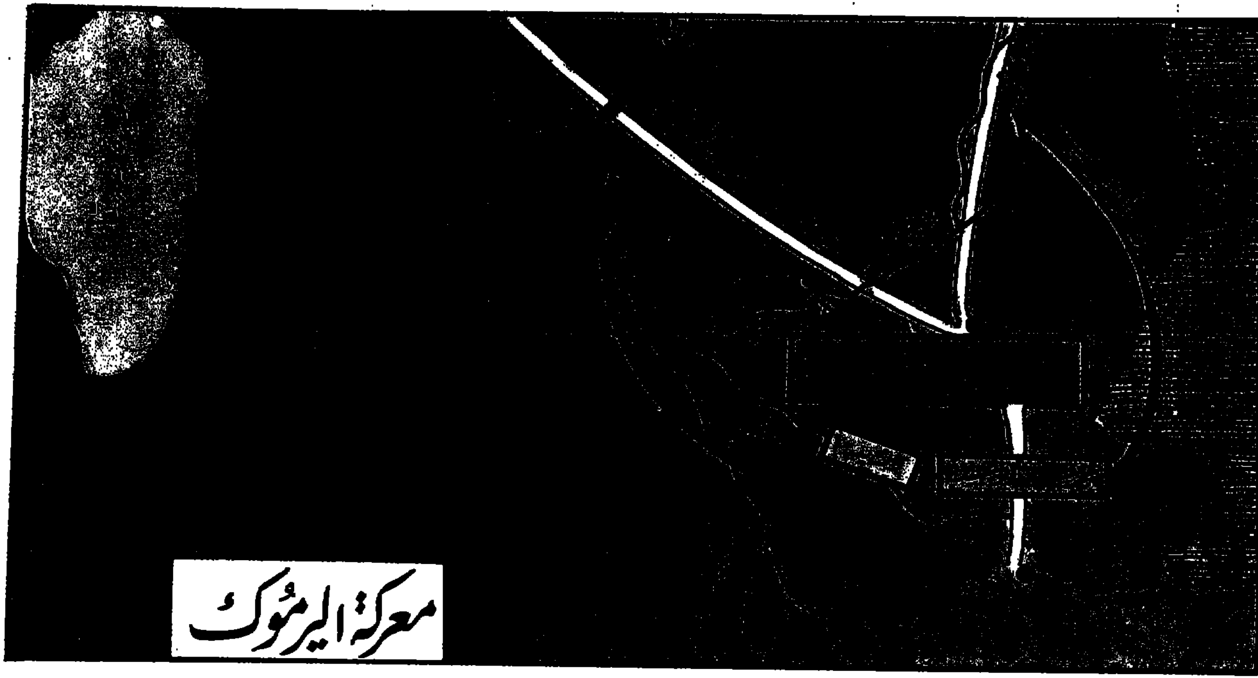
ويقول الطبري: وعندما ولّى أبو بكر خالد بن الوليد، حاول عمر أن يثنيه عن تأمير خالد بن الوليد، حينما أرسله إلى العراق، فأبى أبو بكر أن يطيعه في خالد...

ويمضي الطبري في التحدث عن تجهيز أبي بكر للجيوش العربية ـ الإسلامية فيقول: «ثم أرسل عمرو بن العاص، وأمَّرَهُ على فلسطين، وأرسل الوليد بن عقبة، وأمّره على الأردن. وأرسل يزيد بن أبي سفيان، وأمره على جند عظيم... واستعمل أبا عبيدة بن الجراح وأمَّره على حمص، وخرج معه، وهما ماشيان، والناس معهما وخلفهما... وأوصى كل واحد منهما... ثم اجتمع إلى أبي بكر أناس، فأمَّر عليهم معاوية بن أبي سفيان، وأمره باللحاق بيزيد، وأرسل شرحبيل بن حسنة بعدما ندب معه الناس».

ويستمر الطبري قائلاً: وأوعب القواد بهذه الجيوش نحو الشام، وسَيَّر أبو بكر عكرمة بن أبي جهل ردءاً للناس (أي عوناً).

قادة الروم في الشام يكتبون إلى هرقل:

ويقول الطبري: «ويبلغ الروم ذلك، فيكتبون إلى هرقل، فيخرج هرقل من القسطنطينة حتى ينزل بحمص، يُعد للمسلمين الجنود، ويهيء لهم العساكر، ثم أراد إشغال بعضهم عن بعض بكثرة جنده، وفضول رجاله، فأرسل إلى عمرو بن



معركة اليرموك

العاص أخاه «تذارق» فخرج نحوهم في تسعين ألفاً، فنزل بأعلى فلسطين. وبعث «جرجة بن توذار» نحو يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه... وبعث «الدراقص» فاستقبل شرحبيل بن حسنة. وبعث «الفيقار بن نسطوس» في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة.

فهابهم المسلمون لكثرتهم، وفَطِنَ قادة الجيوش العربية إلى الغاية التي يرمي إليها «هرقل» من محاربة كل قائد منفرداً، فاتفقوا على أن يجتمعوا معاً، ويكوّنوا عسكراً واحداً، يلاقي زحوف المشركين، واجتمعوا باليرموك»[1].

هرقل يطلب من قادة جيوشه أن يجتمعوا للعرب جيشاً واحداً.

«ويبلغ ذلك هرقل، فيكتب إلى «بطارقته»[2]: أن اجتمعوا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً، واسعَ العطن، واسعَ المطرد، ضيق المهرب، وعلى الناس (أي القائد العام) «التذارق» وعلى المقدمة «جرجة»، وعلى المجنبتين: «باهان، والدراقص»، وعلى الحرب «الفيقار» وابشروا، فإن باهان على الأثر مدد لكم..

ففعلوا، فنزلوا «الواقوصة»، وهي على ضفة نهر اليرموك،

(١) اليرموك: من روافد نهر الأردن، ينبع من هضبة حوران، ويصب فيه نهر الزرقاء، قرب جسر المجامع، يجري بين جبال عجلون والبلقاء (منجد الأسماء) واليرموك، سياسياً، اليوم، تابع للملكة الأردنية الهاشمية.

(٢) البطارقة: جمع بطريق، قائد الجيش.

وصار الوادي خندقاً لهم، وهو لِهْبٌ[1] لا يدرك».

«وانتقل المسلمون عن معسكرهم الذي اجتمعوا له، فنزلوا عليهم بحذائهم، وعلى طريقهم، وليس للروم طريقٌ إلا عليهم، فقال عمرو: أيها الناس!! أبشروا، حُصرت والله الروم، وقَلَّ ما جاء محصور بخير، فأقاموا بإزائهم على طريقهم».

وظلوا على ذلك شهر صفر، وربيع الأول، لا يقدرون من الروم على شيء، ولا يخلصون إليهم، واللهب من ورائهم، والخندق من أمامهم، ولا يخرجون خرجة إلا أديل[2] المسلمون منهم».

المسلمون يكتبون إلى أبي بكر يطلبون مدداً... فيكتب إلى خالد بن الوليد:

يقول الطبري: ويأتي خالداً (وهو في العراق) كتاب أبي بكر، فيقول خالد: هذا عمل الأُعَيْسِر ابن أم شملة[3]...

ويسير خالد في عشرة آلاف اختارهم من الناس، بعدما ترك المثنّى بن حارثة الشيباني على الجيش في العراق، فوافى

---

(١) اللهب، بكسر اللام، وسكون الهاء الفرجة، والمهواة بين جبلين، والواقوصة وادٍ في الشام من أرض حوران قرب اليرموك «ياقوت معجم البلدان».

(٢) أديل المسلمون منهم: كان لهم النصر عليهم.

(٣) يعني بذلك عمر بن الخطاب، وكان عمر أعسر يَسَر كما يقول صاحبُ العقد الفريد في المجلد الثالث (باب نسب عمر بن الخطاب)

المسلمين في اليرموك، وهم يقاتلون متساندين، كل جند وأمير، لا يجمعهم أحد، وكان عسكر أبي عبيدة في اليرموك، مجاوراً لعسكر عمرو بن العاص، وعسكر شرحبيل ، مجاوراً لعسكر يزيد بن أبي سفيان، وقدم خالد، وهم على حالهم تلك، فعسكر على حدة، ووافق قدوم خالد، والمسلمون متضايقون قدوم «باهان» بمددٍ من الروم، فنشطوا بمددهم، والتقوا مع المسلمين، فهزمهم الله ، حتى ألجأهم وأمدادهم إلى الخنادق، والواقوصة أحد حدوده، فلزموا خندقهم شهراً كاملاً، والقسيسون، والشمامسة، والرهبان، يحضونهم، وينعون إليهم النصرانية، حتى استبصروا، فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال مثله، في جمادى الآخرة، فلمَّا أحَسَّ المسلمون خروجهم، وأرادوا الخروج متساندين[1]، جاء خالد، فحمد الله، وقال: إن هذا يومٌ من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر، ولا البغي. أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبئة، على تساندٍ وانتشار، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي، وإن من ورائكم، من لو يعلم عملكم، لحال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به، بالأمر الذي ترون أنه الرأي، فهلمّوا، فلنتعاورِ الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً، والآخر بعد غدٍ، حتى يتأمر كلكم، ودعوني إليكم اليوم».

فأمروه، وهم يرون أنها كخرجاتهم، وأن الأمر أطول مما صاروا إليه».

---

(١) متساندين: كل أمير على جيشه لا قيادة عامة تجمعهم. . .

الروم يخرجون للقاء العرب ـ المسلمين:

ويستمر الطبري قائلاً: فخرج الروم في تعبئةٍ لم يَرَ الراؤون مثلها قط، وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العربُ من قبل - خرج في أربعين «كردوساً»[1]، وأمَّر على كل كردوس قائداً من أبطال المسلمين، وقد قسم الجيش إلى: قلبٍ، وميمنة، وميسرة»[2].

الحالة النفسية لكلا الجيشين:

المقداد يقرأ سورة الجهاد:

المعركة الفاصلة:

كان المسلمون على إيمان مبصر، أنهم سينتصرون على الروم انتصاراً مؤزراً..

لقد وعدهم نبيُّ الهدى محمد بن عبد الله (ص)، أن الشام ستفتح لهم أبوابها..

وهُمْ ليسوا بغاةً، بل رسلُ خير، للجماهير المسحُوقة التي يُريدُون أن يَصْنَعُوا لها الخبز المحرَّرَ من العبودية... ويقدمون لها ثروةً: عقليَّة؛.. وخلقية؛.. وسلوكيَّة؛.. وعقائدية...

وإنهم ليعلمون، أن الصدق في الجهاد، هو الصراط الأوحد الذي يحملهم إلى جنان النصر... ويُهيءُ للناس: تَنْمِيةً...

---

(١) الكردوس: الطائفة من الجيش.

(٢) راجع: محمد بن جرير الطبري، القسم الأول ـ ٤ ـ صفحة (٢٠٨٧)، باب وقعة اليرموك ـ مكتبة خياط ـ بيروت.

وتقدماً، . . . ووثاماً؛ . . .

وإن كُلّاً منهم ليرى مقامه فيالجنّة إذا استشهد، نعيماً ظليلاً، وماءً زنجبيلاً، وصفاءً عليلاً. . .

وإنهم ليعلمون أن سحقهم الروم يعني: سحق البغي. . . وصباحاً سمحاً للعدالة، والحرية، والكرامة الإنسانية. . . ومغانم كثيرة يأخذونها: هناءً دفقاً، وعيشاً طلقاً. . .

إذن، فكيف لا يستأسدون في القتال؟؟؟

* * *

هيه!! أصغوا صوتٌ بهيٌّ ينبعث من نسغ القلب نوراً يتغلغل في خلايا النفس، يشعل فيها وَقْدَةَ الإباء، والبطولة، ويشوّقها إلى جنة الخلد، وملك لا يبلى. . .

مَنْ هذا المثل الرائع الذي اختارته القيادة ليتلوَ علينا آيات الله لحناً نضاليًا مثيراً. . ؟؟

وتطاولت الأعناق إلى صاحب الصوت حُبًّا، وإعجاباً. . .

ويتنقل السؤال بين الصفوف: من هذا القارىء الملاك؟؟

وَيُحدِّون إليه النظر. . . ثم يلتفت كل منهم إلى صاحبه يقول له: ويك! ألم تعرفه؟؟

انظر إلى قوامه الطويل، وجسمه الممتلىء، ووجهه الحادّ السمرة، وعينيه المصباحين، المشعين بالإيمان، أما عرفته؟؟؟

وينظر هذا في مرآة ذاكرته، ويعود يتفحصه بنظراتٍ ثاقبة، ثم يقول باسماً: وَيْ، إنه المقداد بن الأسود الكندي فارس رسول الله (ص)، وأحد نجبائه، وإنه ليتقلد السيف الذي حارب فيه

المشركين أمام رسول الله (ص) في بدر، وإنه ليتنكب القوس التي دفع بها طَغْيَ قريش عن رسول الله (ص) يوم أحد...

وإنه ليبدو فيما يطفو على وجهه من إرادة عارمة، أنه فَتًى طري الشباب، رغم أنه زاحم الستين...

هو ذا يقول، وقد فرغ من التلاوة: الجهاد... الجهاد... الجنة تحت ظلال الأسنة يا جند الله...

وها هو يخترط سيفه ويهجم على الروم ظالمي العباد، والبلاد...

انظروا، إن النصر ليضيء في شفرة سيفه...

وتطير الأبطال إلى حُميًّا المعركة كل مطار... إنهم يُريدون أن يستبدلوا الأرض بالسماء...

وتدور رحى الحرب حارّة طاحنة...

المسلمون ينصبون على جحافل الروم قذائفَ من حميم...

وإن صوت المقداد، ومنظر المقداد، وهو يزحم كتائب الروم، ليتوثب في مشاعرهم ناراً...

الله أكبر. الله أكبر. الله كبر...

إنه صوت المقداد، الجهوري، الحلو، يقول: لبيك داعي الله، لا فرار من الزحف، بل ذهاباً إلى الفردوس الأشهى، أو نصراً تخشع له «بيزنطة» من أدناها إلى أقصاها... وينصف المحرومين.. ويعيد إليهم فضيلتهم الإنسانية المهانة.

وفي حين، كانت تلك حالة المسلمين النفسية... كان الجند الروماني يركنون في حرب المسلمين إلى كثرتهم...

ولما شرع رجال الكهنوت يشحنون عواطفهم بوقود البأس، لم يستطيعوا أن يجدوا في حياتهم الاجتماعية شيئاً يرغبونهم في الحفاظ عليه، والذود عنه، سوى «النصرانية».

الدين فقط، هو الطاقة الوحيدة التي أثاروها ليرفعوا بها معنويات جند قيصر العظيم...

وهذه الجماهير من الناس التي حشدوها لتحارب المسلمين، ما كان ليغيب عنها أن القيصر «يطارقته» بل وطبقة الكهنوت نفسها، لم يكونوا يتقيدون من النصرانية بغير اسمها...

وهذه الجماهير يُعَنِّيها ظلم اجتماعي... وقهرٌ طبقي... تحبُّ معهما أن يتفجر القيصر الكبير... ومن يتفيأ رضى القيصر... هباءً منبثًا... ومع ذلك فقد حاربوا...

حاربوا خوفاً من عقابٍ قاطع ينزل بهم، وبأزواجهم، وأبنائهم، إذا انتصر قيصر الروم...

ولكن شتان بين الذين يحاربون خوفاً من جَلَّاد الحاكم... وبين من يحاربون قلباً واحداً مستنيراً بالعقيدة الصلبة... ولا يعنيه من حياته إلا نصرٌ مُبين، أو استشهادٌ كريم...

وترتفع شمس النهار... وترتفع...

خطوة إلى الأمام يا جند الله إلى الأمام مقدار رمحٍ يا خيل الله... إلى الأمام... إلى الأمام...

وما غربت الشمسُ حتى اندقَّتْ قوة الروم... وولوا هاربين... ولم تُغْنِ عنهم كثرتهم شيئاً...

ومن خلال سُحُب الموت الهابطة على أرض المعركة، يرتفع

صوت المقداد بن الأسود الكندي يتلو آياتٍ من الذكر الحكيم ترتاح إليها النفوس المتعبة، المكدودة... وتجد فيها العزاء كل العزاء... وتتضوعُ مِسْكَ ختامٍ للمعركة الفاصلة...

لمحاتٌ من المعركة:

كان القعقاع، وعكرمة بن أبي جهل على مجنبتي القلب... ويطلب منهما خالدٌ أن ينشبا القتال... فيفعلان...

يقول الطبري: «إن القعقاع ارتجز وقال:

يا ليتني ألقاك في الطراد   قبل اعتزام الجحفل الوراد
وأنت، في حلبتك الورادِ

وإن عكرمة ارتجز فقال:

قد علمت بهكنة الجواري   أني على مكرمة أحامي»

ويؤتى بعكرمة بن أبي جهل، وبابنه عمرو جريحين، فيضع خالد رأس عكرمة على فخذه، ورأس عمرو على ساقه، ويأخذ بتقطير الماء في حلوقهما ويقول: كلا، زعم ابن «حنتمة»[1] أنّا لا نستشهد[2]...

وبينا المعركة وَهَجاً من نار، يقال لخالد: لقد أقبل شداد بن أوس الأنصاري، ومعه رسالة من الخليفة...

ويسرع خالد إلى شداد يقتنص الرسالة منه... ويقرؤها...

---

(١) ابن حنتمة: عمر بن الخطاب.
(٢) خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل من بني مخزوم.

ولا يأتي عليها، حتى يُظلم وجهه. ويَخْنُقَ عينيه خَيالٌ حزين...

ما الخبر؟؟

مات أبو بكر، وتولّى الخلافة بعده عمر بن الخطاب... وقد جاء عمر، في هذه الرسالة، يعزل خالداً من القيادة، ويولّي مكانه أبا عبيدة عامر بن الجراح...

ويكتم خالدٌ أمر الرسالة... وعندما تنتهي المعركة، يجيء أبا عبيدة، ويسلمه إياها... واضعاً نفسه تحت إمرته...

وفي أيامٍ قلائل حافلة بالجهاد... تفتح الشام أبوابها لجند الله... وصدق رسول الله فيما وعد به المسلمين...

أبو بكر يتلهف عند موته على ثلاث... وثلاث...

قال المسعودي في الجزء الثاني من كتابه مروج الذهب صفحة / ٣٠١ / طبع «دار الأندلس» - بيروت، طبعة أولى، تشرين أول ١٩٦٥. إن أبا بكر لما احتضر قال: «ما آسي على شيء إلا على ثلاث فعلتها، ووددت أني تركتها. فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة، وذكر في ذلك كلاماً كثيراً، ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة،وأطلقته نجيحاً، أو قتلته صريحاً، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين (عمر بن الخطاب أو أبي عبيدة، فكان أميراً، وكنت وزيراً).

والثلاث التي تركتها ووددت أني فعلتها، وددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه، فإنه خُيِّل إليَّ أنه

لا يرى شرًّا إلا أعانه، ووددت أني كنت قد قذفت المشرق بعمر بن الخطاب، فكنت قد بسطت يميني وشمالي في سبيل الله، ووددت أني يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكاني فإن سلم المسلمون سلموا، وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مدَداً، وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش إلى مرحلةٍ من المدينة. وهو الموضع المعروف بذي القصه.

والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله عنها.

وددت أني كنت سألته فيمن هذا الأمر، فلا ينازع الأمر أهله، ووددت أني سألته عن ميراث العمة وبنت الأخ فإن بنفسي منهما حاجة. ووددت أني سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب فنعطيهم إياه. ؟؟؟[1]

* * *

المقداد بعد الفتح يقول: أتت علينا البعوث:

يروي البيهقي في السُّنن الكبرى عن أبي عبد الله الحافظ، أنه أخبر فقال: أَنْبَأَ الحليم بن حسن المروزي، أنبأ «أبو الموجه»، أَنْبَأَ عبدان، أنبأ عبد الله، عن صفوان بن عمرو؛ وأخبر عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود بدمشق، وهو على تابوت من توابيت الصيارفة، وقد أفضل عنها من عظمه، يريد الغزو، فقلت له: لقد أعذر الله إليك...

(١) وراجع: الإمامية والسياسة: ابن قتيبة الجزء الأول صفحة (١٨). والأموال أبو عبيد، صفحة (١٣١). وابن عبد ربه: العقد الفريد الجزء الخامس صفحة (١٩)، ط. ١٩٥٣، تحقيق العريان.

فقال: أتت علينا سورة البعوث (التوبة) انفروا خفافاً وثقالاً، ولا أجدني إلا خفيفاً[1].

إن جواب المقداد دُفعة الدم التي تنعش فؤاده... إنه يود، ما دام حيًّا، أن يعيش حياة الجهاد التي تعز الإسلام... وتقتلع أشواك الظلم من الدنيا... وتزرعُ مكانها بَهْجَةَ الحياة وعزَّها...

المقداد في فتح حمص على رأس قبيلة «بلى» عام (١٥هـ).

يقول ابن الأثير في الكامل: «صالح أهل حمص أبا عبيدة، على صلح دمشق، وبعث أبو عبيدة المقداد بن الأسود على قبيلة (بَلي)، وبلالاً وخالداً في الجيش، والسمط بن الأسود في بني معاوية، والأشعث بن قيس في السكون، واستخلف أبو عبيدة على حمص «عبادة بن الصامت، وكتب بالفتح إلى عمر[2].

المقداد يعلم أهل حمص قراءة القرآن.

المقداد مِشْعَلُ جهاد في الله، حيثما حَلَّ أضاء، والمجاهد، حين يترك للسيف أن يطمئن، ليطعم شيئاً من الراحة الجسدية يفتح لنفسه باباً جديداً من الجهاد، فالمقداد في الفترة التي هدأ فيها سيفه في غمده، طفق يعلم الناس القرآن الكريم...

---

(١) البيهقي: السنن الكبرى ـ الجزء التاسع صفحة (٢١) طبعة أولى ـ الهند، ١٣٥٦هـ.

(٢) ابن الأثير: الكامل ـ المجلد الثاني، صفحة (٤٩٢) طبع مصر (١٩٦٥)، والطبري قسم أول ـ ٥ ـ صفحة (٢٧٨٠) خياط ـ بيروت.

قال حذيفة لسعيد بن العاص، حين عاد من فتح «أذربيجان»: لقد رأيتُ في سفرتي، لئن تُرك الناس، ليختلِفُنَّ في القرآن، ثم لا يقومون عليه أبداً.

قال سعيد: وما ذاك؟؟

قال: رأيتُ أناساً من أهل «حمص» يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد بن الأسود الكندي ورأيتُ أهل «دمشق» يقولون: إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم... ورأيتُ أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرأوا عن ابن مسعود[1].

في جلسة تنديها حلاوة الإيمان يقول لهم المقداد:

حَدَّثَ عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد يوماً، فمر به رجل فقال له: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله، والله، لوددنا، أننا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت، فاستغضب... فجعلت أعجب، ما قال الرجل إلا خيراً... ثم أقبل المقداد إليه فقال: ما يحمل الرجلُ أن يَتَمَنَّى مَحْضَراً غَيَّبَهُ الله عنه، وما يدري لو شهده كيف يكون؟؟

والله، لقد حَضَرَ رسول الله أقوامٌ كَبَّهُمْ الله على مناخيرهم في جهنم، لم يجيبوه، ولم يصدقوه... أَوَ لَا تحمدون الله، إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم، مصدقين بما جاء به نبيكم، ولقد كُفيتُمُ البلاء بغيركم؟؟...

---

(١) ابن الأثير: الكامل، المجلد الثاني صفحة (١١١) طبع ١٩٦٥.

والله، لقد بعث الله النبي (ص)، على أشد حالٍ بُعِثَ بها نبيٌ من الأنبياء في فترةٍ وجاهلية ما يرون، أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفُرقانٍ، فَرّق بين الحق والباطل، وفَرّق بين الوالد وولده، . . . إن كان الرجل منا ليرى والده وولده وأخاه كافراً، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك، دخل النار، فلا تقرُّ عينه، وهو يعلم أن حبيبه في النار، وأنها للتي قال الله عَزَّ وجل: ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعينَ . . . ﴾[1].

المقداد يقول: إن السعيد من تَجَنَّب الفتن. . .

وتَحَدَّثَ المقداد يوماً: أن قوماً طلبوا منه أن يجلس إليهم فقال: العجب من قوم مررتُ بهم آنفاً يتمنون الفتنة، يزعمون ليبتلينَّهم الله فيها بما ابتلي به رسول الله (ص) وأصحابه. وأيم الله، لقد سمعت رسول الله يقول: إن السعيد لمن جُنِّب الفتن يرددها ثلاثاً، وإن ابتلي صَبَرَ».

وايم الله، لا أشهد لأحدٍ أنه من أهل الجنة، حتى أعلم بما يموت عليه، بعد حديثٍ سمعته من رسول الله (ص)؛ سمعته يقول: لَقَلْبُ ابن آدم، أسرعُ انقلاباً من القِدْر إذا استجمعت غليًا»[2].

ذلك هو المقداد، رجلُ جهاد إذا زلزت الحربُ الأبطال. .

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ـ الجزء الأول، صفحة (١٦٧ و١٦٨) طبعة أولى، الهند (١٣٥٥هـ) وأبو نعيم: الحلية ـ الجزء الأول، صفحة (١٧٥ ؛

(٢) الكاندهلوي: حياة الصحابة، المجلد الأول، طبع دار المعرفة ـ بيروت.

وأمّا في السلم، فهو مُعَلِّم للقرآن... وموجه تربوي إلى روح الإسلام... وهو مع هذا يعمل بيده ليأكل طعامه عَذْباً، حلالاً...

ذلك هو المقداد أول عربيٍّ عدا به فرسه في سبيل الله[1]..

ذلك هو المقداد الذي تَحَدَّث عنه الإمام موسى بن جعفر الصادق، فقال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين حواريي رسول الله (ص) الذين لم ينقضوا العهد، ومضوا عليه؟؟

فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر»[2].

المقداد يشارك في فتح مصر:

أرسل عمر بن الخطاب مدداً لعمرو بن العاص أثناء فتح مصر، الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً من الجنود، وفيهم أجلاء الصحابة، وفرسان المسلمين أمثال «المقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مُخَلَّد، وخارجة بن حذافة.

وحين وصل الزبير مصر حاصر حصن «بابليون»، وهو الحصن القوي الذي كانت تحتمي به قوات الروم، لِسَعَتِهِ وعلو أبراجه، والذي استعصى على كثير من الغازين والفاتحين...

فحاصروه سبعة أشهر، وأخيراً تم فتحه[3].

---

(1) أبو هلال العسكري: الأوائل: القسم الأول، صفحة (١٥٨) طبع وزارة الثقافة بدمشق.

(2) الطوسي: اختيار معرفة الرجال صفحة (٩).

(3) راجع محمد علي قطب: العشرة المبشرون في الجنة، مكتبة الغزالي، ص ١٥٨ - ١٥٩.

ويقول الغلامي في المقداد: وكان من الفضـلاء، النجباء، السابقين إلى الإسلام، شهد فتح مصر[1]...

ألا ما أسنى المقداد بن الأسود!!

إنه يرى أن الإسلام نهر الحياة الذي يروي شجرة الإنسانية، فتخضر، وتبسق فروعها، وتمتد ملء الأرض، وتؤتي ثمارهـا الغضة حبًّا، وعدلاً، ومدنية، وسلاماً...

وهو من أجل هناء الإنسان مرتبط بقول الله: ﴿انفروا خفافاً وثقالا...﴾.

عود المقداد إلى جوار رسول الله (ص).

ويعود المقداد من مصر إلى مدينة الرسول (ص)... ويقصد أولَ ما يقصد قبر رسول الله (ص) مسلماً... ثم يجلس في الروضة التي بين المنبر، والقبر... فيتذكر أيامه الحاليات مع رسـول الله (ص)... فتـرف في عينيـه عبـرات الحب، والشوق...

حتى إذا بَلَّ أُوام أشواقه من زيارته قبر نبي الهدى (ص)...
قصـد دار علي بن أبي طـالب (ع) يتـذوق فيهـا حـلاوة الوحي... وطراوته...
ويتنسم منها صبا النبوة المعطار...
وحين يرى أن نفسه تنتشي من رحيق المباهج السماوية...
يعـود إلى منزلـه في الجـرف، رَيَّـانَ القلب، نـاضـرَ

(١) الشيخ الغلامي: أصحاب بدر، طبع بغداد ١٩٦٦.

الإحساس... ليلتقيَ بأسرته بعد غيابٍ طويلٍ... طويل...

ثم يعيش بعضاً من الوقت، حياة رتيبَةً، يقضيها بين داره، وقبر الرسول (ص)، ودار علي بن أبي طالب (ع)...

ولكنَّ تلك الرتابة لم تخلق لديه سأماً...

بل كانت تُغَلِّفُ نفسه بنسيجٍ من خيوط الملذات الروحية، تجدد طاقاته الروحية... والبدنية...

المقداد وعبد الله بن عمر:

أُخرج أحمد واللالكائي في السُّنة، وأبو القاسم بن بشر في أماليه، وابن عساكر في تاريخه، عن البهي: أن عبد الله بن عمر بن الخطاب شَتَمَ المقداد، فشكاه المقداد إلى أبيه، فنذر ليقطعنَّ لسانه، فلما خاف ذلك من أبيه تَحَمَّلَ[1] على أبيه بالرجال فقال عمر: دعوني أقطع لسانه، حتى لا يشتم بَعْدُ، أحداً من أصحاب رسول الله (ص)[2].

اغتيال عمر:

وذات يومٍ يبلغه: أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، طعن عمر بخنجره طعنات قاتلة، فيمضي إلى المدينة مسرعاً...

وهو في طريقه يعلم أن عمر جعل الخلافة شورى بين ستةٍ

(١) تحمَّل: استشفع.

(٢) راجع، منتخب كنز العمال ـ الجزء الرابع صفحة (٤٢٤) + محمد يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة، المجلد الثاني، صفحة (٣٩٩) طبع دار المعرفة ـ بيروت

من المسلمين: علي بن أبي طالب (ع)، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام... ويعلم، أنه أوكل إلى عبد الرحمن بن عوف أن يبت في أمر الخلافة إذا حدث انقسام ويتأكد عنده، أنه طلب من عبد الرحمن أن يوليه منصب الخلافة، فأبى... وأنه قال: لو كان أبو عبيدة حَيًّا لوليتُه... وأنه لو كان سالم[1] حَيًّا، لوليته، وأنه قال لعلي: أما لو أنك وَليتهم لحملتهم على المحجَّةِ البيضاء...

فيذهله ذلك... عمر يعلم أن عليًّا يسير بالناس في الطريق التي عَبَّدها وحيُ الله،... ولا يبايعه...

في حين يُلح على عبد الرحمن أن يوليه... وفي حين يقول: لو كان أبو عبيدة حَيًّا لوليته... ولو كان سالم حَيًّا لوليته...

---

(1) سالم مولى أبي حذيفة بنت عتبة من أهل فارس اعتقته مولاته زوج أبي حذيفة، ثم تبناه أبو حذيفة، من القراء، هاجر مع عمر إلى المدينة، وقد روي عن عمر أنه قال: لو كان سالم حَيًّا ما جعلتها شورى... يقول صاحب الاستيعاب تعليقاً على قول عمر: وهذا عندي أنه كان يُصدر فيها عن رأيه. استشهد باليمامة. (راجع، ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب، الجزء الثاني بهامش الإصابة، صفحة (٧٠) حرف السين ـ القسم الأول).
أما الدكتور علي شلق فيقول: «لكن عمر، وهو الذكي الألمعي، الرائي، خشيَ من هذا المركب الصعب، وجهد جهداً ليبعدها عن علي، لينجو من توليه النخبة القرشية، فأوكل إلى الستة أن يختاروا، وهؤلاء الستة، مُخَيَّرون لاختيار أي واحدٍ منهم، سوى علي بن أبي طالب، على الرغم من أنه كان أجدرهم...». (راجع، الدكتور علي شلق، كواكب الإسلام، علي بن أبي طالب، ص (٤٢) ط. دار المسيرة ـ بيروت، طبعة أولى ١٩٧٩).

ويتساءل بلوعةٍ من الألم: كيف يصدر ذلك عن الفاروق عمر؟؟

ويهمس لنفسه: لقد صرفوها عن قطبها أولاً وثانياً، فهل يصرفونها عنه ثالثاً؟؟..

ويرتاب المقداد في جعل عبد الرحمن حكماً، عند انقسام رجال الشورى[1]، ويقول: لماذا خَصَّ عمر عبد الرحمن بهذا الامتياز؟؟

إن المقداد يرى أن عليًّ بن أبي طالب (ع)، أولى بمقام رسول الله (ص) من جميع الأصحاب... بل إنه يراه له حقًّا ثابتاً...

ولكنه يعلم أن قريشاً تكره عليًّا، وقد نطق عمر نفسه بهذه الحقيقة؛ قال لابن عباس: إن قريشاً تكره أن تجتمع فيكم الخلافة والنبوة، فتكون بجحاً، بجحاً»[2].

إذن، فكيف يرشحه للخلافة؟؟

هل أراد أن يتحدّى قريشاً في اللحظات الأخيرة من حياته، أم أنه اتخذ من ذلك مسرباً ليضع الخلافة في بني أمية عن طريق عبد الرحمن صهرهم، ويُرضي قريشاً حيًّا وميتاً؟؟

وتأخذ الشكوك بنبضات قلب المقداد، حتى لتكاد تمسكه عن الحركة...

---

(١) راجع كتابنا «أبا ذر» فهناك تفصيل لحادثة البيعة

(٢) راجع، الطبري: القسم الأول ـ ٥ ـ صفحة (٢٧٩٦) مطابع حياطة ـ بيروت.

ويصبح قريباً من دار عمر... ويرى الناس يدخلون ويخرجون، فينسى شكوكه، ويدخل على عمر يواسيه، ويبدي حزنه لما أصابه...

عمر يسند إلى المقداد جمع رجال الشورى:

وينظر عمر إلى المقداد ويقول: يا أبا معبد!! إذا وضعتموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيتٍ واحد، حتى يختاروا رجلاً منهم[٣]، ويقول عمر لرجلٍ أشار عليه أن يولي ابنه عبد الله: ويحك، إنك لم تُرد بها وجه الله، كيف أولي رجُلاً لم يحسن أنه يطلق امرأته؟؟ لا، بحسب آل عمر، أن يحاسبَ رجل واحد منهم، وأن يموتَ كفافاً لا وز، ولا أجر[٤].

عبد الرحمن يبايع عثمان بن عفان:

ويمضي عمر إلى ربه، ويجمع المقداد القوم... وتبدأ المناورات... وبعد اجتماعات متعددة، ينقسم رجال الشورى على أنفسهم كما هو متوقع...

وللمرة الأخيرة يجتمعون في مسجد رسول الله (ص)،

---

(١) ابن الأثير: الكامل. المجلد الثالث، صفحة (٦٧) ط. مصر ١٩٦٥.

(٢) الطبري: أحداث (٢٣هـ)، ونقل محمد يوسف الكاندهلوي في كتابه «حياة الصحابة» المجلد الثاني، ص (٩٩)، ط. دار المعرفة - بيروت؛ أنه قد: أخرج هناد، وأبو نعيم في الحلية جـ ١، ص ٥٢، والبيهقي عن الضحاك، قال، قال عمر: يا ليتني كنت كبش أهلي، يسمنوني ما بدا لهم، حتى إذا كنت أسمنُ ما أكون، زارهم بعض من يحسون، ذبحوني فجعلوا بعضي شواء، وبعضي قديداً، ثم أكلوني، فأخرجوني عذرة، ولم أكن بشراً.

فيبايع عبد الرحمن عثمان بن عفان. . .

ولْنَسْتَمِعْ إلى الطبري يقص علينا نبأ ذلك، يقول الطبري:

«في صبيحة اليوم الثالث من وفاة عمر، وبعد صلاة الصبح، جمع عبد الرحمن الرهط، وبعث إلى من حضره من المهاجرين والأنصار، ، وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا، حتى ارتجّ المجلس بأهله، فقال: أيها الناس!! إن الناس أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم، وقد علموا من أميرهم؟؟

قال سعيد بن زيد: إنَّا نراك لها أهلاً. . .

ـ أشيروا عليَّ بغير هذا. . .

فقال عمار بن ياسر: إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليًّا.

فقال المقداد بن الأسود الكِندي: صدق عمار بن ياسر، إن بايعتَ عليًّا، قلنا: سمعنا وأطعنا.

قال ابن أبي سرح: إن أردتَ أن لا تختلف قريش، فبايع عثمان بن عفان(١).

قال عبد الله بن ربيعة: صدق، وإن بايعتَ عثمان قلنا:

---

(١) «ابن أبي سرح أسلم نكاية بالإسلام، حتى إذا وكل إليه الرسول كتابة بعض الوحي، خان الأمانة، وحاول أن يبدل ويغير في التنزيل، فأهدر الرسول دمه، ثم عفا الرسول عنه بعد رجاء، ومراجعات من عثمان بن عفان (راجع، عبد الفتاح عبد المقصود ـ الجزءالثاني من المجموعة الكاملة، ص (١٥) منشورات دار العرفان. وابن أبي سرح أخو عثمان من الرضاعة، وكان أبوه منافقاً، وفي ابن أبي سرح نزلت الآية (٩٣) من سورة الأنعام التي تقول: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً وقال أوحى إليّ ولم يُوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثلما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت. . . ﴾ الآية.

سمعنا، وأطعنا..

فشتم عمار عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقال له: متى كنت تنصح المسلمين؟؟

ويتكلم بنو هاشم... وبنو أمية...

ويقول عمار: أيها الناس!! إن الله أكرمنا بنبيه، وأعزّنا بدينه، فأنّى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم؟؟

فقال رجلٌ من بني مخزوم: لقد عدوتَ طورك يا بن سمية، وما أنتَ وتأمير قريش لأنفسها؟؟

فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن!! افرغ قبل أن يفتتن الناس.

فقال عبد الرحمن: إني نظرت وشاورتُ، فلا تجعلُنّ أيها الناس على أنفسكم سبيلاً... ودعا عليًّا فقال: عليك عهد الله وميثاقه، لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخليفتين من بعده...

قال: أرجو أن أفعل، وأعمل بمبلغ علمي، وطاقتي.

ودعا عثمان، فقال له مثل ما قال لعلي (ع)، قال: نعم، فبايعه.

المقداد وعبد الرحمن:

قال المقداد لعبد الرحمن: أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق، وبه يعدلون...

ثم يتابع قائلاً: ما رأيتُ مثلَ ما أُوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم، إني لأعجبُ من قريش، إنهم تركوا رجلاً ما أقول:

أن أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل، أما والله لو أجد عليهم أعواناً...

ويقطع عليه عبد الرحمن كلامه فيقول: يا مقداد!! اتَّقِ الله، فإني خائف عليك الفتنة[1]...

أما المسعودي فإنه يقول: وقام المقداد ـ أي بعد بيعة عثمان ـ، فقال: ما رأيتُ مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم.

فقال له عبد الرحمن: وما أنت وذاك يا مقداد؟؟!!

ـ إني والله لأحبهم، لحبِّ رسول الله إياهم، وإن الحَقَّ لمعهم وفيهم...

يا عبد الرحمن!! أعجبُ من قريش، وإنما تطولهم على الناس بفضل أهل هذا البيت، وقد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله من بعده، من أيديهم، أما، وايم الله، يا عبد الرحمن، لو أجد على قريشٍ أنصاراً لقاتلتُهم كقتالي إياهم مع رسول الله يوم بدر»[2].

ويورد اليعقوبي في تاريخه أن بعضهم قال: دخلتُ مسجد رسول الله (ص)، فرأيتُ رجلاً جاثياً على ركبتيه، يتلهف تَلَهُّفَ من كانت له الدنيا فسلمها، وهو يقول: واعجباً لقريش!! وَمَنْعَهُمْ هذا الأمر عن أهل بيت نَّبِيهم، وفيهم أول المؤمنين، وابن عم رسول الله، أعلم الناس، وأفقههم في دين الله،

---

(١) راجع، الطبري: القسم الأول ـ ٥ ـ أحداث عام (٢٣ هـ) من الصفحة (٢٧٨٠ ـ ٢٧٨٧) مكتبة خياط ـ بيروت.

(٢) راجع، مروج الذهب: المسعودي ـ الجزء الثاني، ص (٣٤٣) طبع دار الأندلس ـ بيروت.

وأعظمهم عناءً في الإسلام، وأبصرهم بالطريق، وأهداهم للصراط المستقيم.

لقد والله زوّوها عن الهادي، المهتدي، الطاهر، التّقي، وما أرادوا إصلاحاً للأمة، ولا صواباً في المذهب، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين.

فدنوتُ منه فقلتُ: من أنت يرحمك الله؟؟ ومن هذا الرجل؟؟

- أنا المقداد بن الأسود، وهذا الرجل علي بن أبي طالب (ع).

- ألا تقوم بهذا الأمر فأعينَك عليه؟؟

- يا بن أخي!! إن هذا الأمر لا يجزي فيه الرجل، ولا الرجلان..

ثم خرجتُ، فلقيت أبا ذر، فذكرتُ له ذلك، فقال: صدق أخي المقداد»[1].

* * *

ترى، لو وضعنا هذه النصوص التاريخية الثلاثة تحت مجهر الدرس، فماذا ينكشف لنا؟؟

إنها ترينا أن قريشاً كانت تفور تعصباً على ابن أبي طالب (ع) وحقداً.

فابن أبي سرح الذي ينطق بلسان قريش يقول: «إن أردت،

---

(١) راجع، تاريخ اليعقوبي: الجزء الثاني، صفحة (١٤٠) المكتبة المرتضوية في النجف ١٣٥٨هـ + الطبري، قسم أول - ٥ - ص ٢٧٨٦.

أن لا تختلف قريش فبايع عثمان. . .»

وعمار والمقداد يقولان: إن أردت أن لا يختلف الناس فبايع عليًّ بن أبي طـالب (ع)، فهمـا يستنـدان إلى جمـاهيـر الشعب. . . تطبيقاً لمبدأ الإسلام. . . (إن أردت أن لا يختلف الناس فبايع عليًّا. . .)

أما ابن أبي سرح، فإنه ينزع منزعاً قبليًا معادياً (لإيدولوجية) الإسلام (إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان).

وتتم البيعـة لعثمـان على أسـاس هـذا المنـزع القبلي الصرف. . .

يقول الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود تعليقاً على بيعة عثمان هذه: «وتمت له إمرة الناس، لا بالناس، إنما بمشيئة رجل فرد من قريش، كان هو الآخر يترجم عن عاطفة قَبَلِيَّة».

«تلك لحظةٌ من لحظاتِ الدهر، بدت فيها الأنانية والعصبية، كما لم تَبْدُ بمثل وضوحهـا في غيرهـا من لحظات الإسـلامِ السوالف، ولسوف تظل عنواناً على عهدٍ تقدم فيه الشخصياتُ على الجماعات»[1].

وإذا كان المخزومي قد أبرزَ هُـوية قـريش الطبقيـة بقولـه للمقداد: ما أنت وتأمير قريش لنفسها؟؟

فقد أبرز عبد الرحمن نفس الهوية حين قال للمقداد: ما أنتَ وذاك يا مقداد؟؟!!

---

(١) عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي بن أبي طالب ـ الجزء الأول من المجموعة الكاملة، صفحة (٢٧٩) منشورات دار العرفان ـ بيروت.

وحين يعرض علينا عبد الرحمن والمخزومي مشاربهما الراسية في نقيع الجاهلية، نرى المقداد يطلع علينا بحجة ساطعة لا تنهض أمامها حجة...

إنه يقول: أعجبُ من قريش، وإنما تطولُهم بفضل أهل هذا البيت، وما داموا يتطاولون على الناس بفضلهم، فكيف ينازعونهم مقام الرسول (ص) وهم أولى به حيًّا وميتاً...؟؟.

ويُفصِحُ لعبد الرحمن عَنْ سَبَبِ حُبِّهِ عليًّا (ع) وأهل بيته فيقول له: إني والله لأُحبُّهم لحب رسول الله إياهم...

يقسم له بالله إن حبه إياهم منزه عن كل رجس، لأنه امتدادٌ لحب رسول الله (ص)...

ويقول لعبد الرحمن: وإن الحق لمعهم وفيهم...

وهذه شهادة صدقٍ من فارس رسول الله (ص)، الذي تشتاق إليه الجنة.

والمقداد يأتي ببرهانٍ عن سبب حُبه لعلي بن أبي طالب (ع) رأس أهل البيت المحمدي بعد رسول الله (ص) إذ يقول: إني لأعجبُ من قريش...

ولماذا يعجب منهم؟؟ لِنَسْمَعْه، ونتبينْ منطق عجبه من قريش: «إنهم تركوا رجلاً، ما أقول أن أحداً، أعلمُ، ولا أقضى بالعدل منه»...

ويشهد لعلي (ع) شهادة ثانيةً فيقول: إنه أول الناس إيماناً، وابن عَمِّ رسول الله(ص)، أعلم الناس، وأفقههم في دين الله، وأعظمهم عناءً في الإسلام، وأبصرهم بالطريق، وأهداهم

للصراط المستقيم...

ومع كون علي (ع) كل هذه الصفات التي رقى بها فوق الجميع، فقد حجبوا عنه الخلافة «والله لقد زووها عن الهادي... وما أرادوا إصلاحاً للأمة؛... ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة»...

فالمقداد يربط حياة جماهير الشعب وصلاحها... بعلي الذي يستطيع بما أوتيه من: علم، وحكمة، ووعي للعدالة الاجتماعية، وخلق قرآني، أن يسوسها سياسة تَبْني لها (المدينة الفاضلة) التي تُنشدها مبادىء الإسلام وعقائده...

تلك صُورٌ زاخرةٌ بالحياة تتكشف لنا من دراسة النصوص التاريخية الثلاثة...

ولا بُدَّ أن المقداد كان يتساءل بحسرة: كيف يبغض هؤلاء علي بن أبي طالب (ع)، ويصلونه من أحقادهم كيداً، وقد سمعوا رسول الله (ص) يقول له: أنت وليٌّ كل مؤمن بعدي[1]

وعلي (ع) مع القرآن والقرآن مع علي (ع) لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض[2].

---

(١) راجع، ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صفحة (٣٦) المجلد الثالث في هامش «الإصابة»، وراجع الإصابة: ابن حجر العسقلاني - المجلد الثاني صفحة (٥٠٨ و٥٠٩) طبعة جديدة (بالأوفست) بغداد، وراجع، السيوطي: تاريخ الخلفاء، صفحة (١٧٠) طبع مصر.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء صفحة (١٧٣) وراجع: كنز العمال، حديث (١١٥٢.) وصواعق ابن حجر المحرقة ص (٧٥).

و: النظر إلى وجه علي (ع) عبادة[1].

و: مَنْ أحبَّ عليًّا فقد أحبني، ومن أبغض عليًّا فقد أبغضني، ومن آذى عليًّا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله[2]...

وكان أقرب الناس إلى قلب رسول الله، وأحبهم إلى نفسه[3].

و... و... و...[4]

من أجل أنهم يعرفون أقوال الرسول (ص) هذه ويكفرون بها،... يتمنّى أن يَجدَ أقواماً يساعدونه على حربهم ليحاربهم كما فعل في بدر....

ومن أجل ذلك يدعو عليهم فيقول: «فبعداً، وسحقاً، للقوم الظالمين، الذين آثروا الدنيا على الآخرة»...

ولكن هل انحراف قريش عن نهج الإسلام جعله يقعد عن الجهاد؟؟

---

(١) راجع، الحافظ الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الجزء التاسع، صفحة (١١٩)، ويروي الحافظ في مجمعه هذا، عن طليق بن محمد، قال: رأيت عمران بن الحصين يُحِدُّ النظر إلى علي، فقيل له، فقال: سمعتُ رسول الله يقول: النظر إلى علي عبادة. وراجع، الشبلنجي الشافعي، باب فضائل علي، وراجع السيوطي: تاريخ الخلفاء، صفحة (١٧٢)، طبع مصر. وراجع الشيخ سليمان القندوزي الحنفي: ينابيع المودة الجزء الأول صفحة (١٢١) الباب الأربعون.

(٢) ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في هامش الإصابة ـ المجلد الثالث، صفحة (٣٧).

(٣) راجع الأحاديث السابقة وغيرها في كتب الحديث

(٤) راجع التربية الإسلامية ـ الثالث الإعدادي، فئة من المدرسين، ط. دار البعث دمشق ١٩٨٠ ـ ١٩٨١.

معاذ الله. ما كان للمقداد و هو من نجباء رسول الله (ص) وحواريه... ما كان له وهو أحد أربعة تشتاق إليهم جنة الخلد.

ما كان له، وهو الذي وُصفَ بأنه من: الفضلاء، النجباء، الكبار، الخيار، من أصحاب النبي (ص)[1].

ما كان له أن يقعد عن الجهاد الذي يُعَزِّزُ كلمةَ التوحيد، فهو بعدما استأثرت قريش بالخلافة ذهاباً مع ضغنها الأسود على علي شَدَّ راحلة الجهاد، وجعل حَمّالـة سيفه في عنقـه، ومضى، ولكن، إلى أين؟؟

المقداد في فتح قبرص:

ويخاطب المقداد نفسه فيقول: هذه دمشق يا مقداد!!!

وَيَخِفُّ إلى الجيش الذي يُجهزه معاوية، فيُسْلِكُ نفسه في أفراده، ويلتقي هناك بإخوة الإيمان والأنس: أبي ذر الغفاري، وعُبادة بن الصامت[2]، وأبـو أيوب الأنصـاري... وغيرهم، فيـركب معهم البحـر الأبيض المتـوسط، ويمضـون لاحتـلال قبرص، ليرفعوا نير الاستعباد الروماني عن أعناق المحرومين ... فتفتح لهم أبوابها[3]... ويرفع المقداد صوته فوق هضاب جزيرة قبرص: الله أكبر. الله أكبر. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله...

---

(١) ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في هامش الإصابة، المجلد الثالث، صفحة (٤٣٧).

(٢) كان مع عبادة زوجته = أم حرام بنت سلمان، فمـاتت هناك، وقبـرها في قبرص يدعى «قبر المرأة الصالحة».

(٣) الدكتور سهيل زكار: مختارات من كتاب المؤرخين العرب صفحة (٧٥).

رجوع المقداد إلى مدينة الرسول (ص):

كان المقداد ينزل رحاب الثامنة والستين حينما خاض معركة قبرص. . .

ذلك هو، في شبابه وشيخوخته. . . شعارُه قولُ الله: ﴿ انفروا خِفَافاً وَثِقَالاً. . . ﴾

إنه يرى نفسه في ميدان الجهاد، خفيفاً، نشيطاً، فتًى. . . وأن تَطَلُّعَاتِه إلى المستقبل مُلَوَّنَةٌ بمطامع الشَّباب الغِرِّيد. . .

وهوذا يعود إلى «مدينة الرسول (ص)» صافيَ الروح أنقى ما يكون الصفاء. . . وَأَسْطَعَهُ. . .

لقد عمر الإسلام الجزيرة العربية كلها. .

وأدرجت أضواؤه في غلائلها بلاد: الشام، والعراق، ومصر. . .

وإنه ليمتد في دنيا الناس، شرقاً، . . . وغرباً. . . دِفْءَ محبة. . . وخمائلَ حنان. . .

هذا ما وعد به الله ورسوله (ص) يُشرق ضحًى باهراً. . . عاطراً. . .

وإذن، فَلْيعد إلى الأهل في الجُرف، وإلى منبع الهدى في المدينة، . . . يتنسم راحةً آنِيَّةً لجسمه، الذي أرهقه عسراً. . .

وتتلقاه المدينة بترحاب أطيب روحاً من أنفاس العبير. . .

ويستقر في داره بالجرف، تتدفق الغبطة في إحساسه سَكْبَ رضًى، ونفحاتِ طيب. . .

وفاة المقداد

ويهدأ الجسد الذي طالما غالب مكاره السَّفر. . . واقتحم ضرام المعارك، . . . وصاول الأبطال. . .

وهذا الهدوء جعله يكتنز شحماً... فإذا جَسَد البطل يَنْتَابُهُ مَرَضٌ في المَعدة..

فيقدمون إليه دُهْن الخروع، فيشرب منه جُرَعا...
ثم.. ثم لا تلبث الروح الزكية أن تهجر الجسد الطّيب..
إلى المكان الذي يشتاق إليها...
إلى جوار رسول الله (ص) في الرفيق الأعلى...

ويصل نبأ وفاة المقداد إلى المدينة، فيُسرع المسلمون إلى داره في الجرف جماعات، جماعات، ناكسي الرؤوس حزناً على فقده..

تقول كريمة ابنته: مات أبي بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة، فحمل على رقاب الرجال، حتى دفن بالمدينة بالبقيع، وذلك سنة ثلاث وثلاثين، (٦٥٣م)، وكان يوم مات ابن سبعين أو نحوها»[١]

فسلام على المقداد بن الأسود نجيب رسول الله (ص)، وفارسه، وأحد الأقطاب «الأربعة الذين تشتاق إليهم الجنة»...

محمد علي اسبر سورية ـ جبلة

١٠ / ١٠ / ١٩٧٨

(١) ابن سعد: الطبقات ـ المجلد الثالث، صفحة (١٦٣) طبع دار صادر ـ بيروت، ويروي صاحب الطبقات في الصفحة نفسها أن عثمان بن عفان هو الذي صلى على المقداد، وأن عثمان جعل يثني على المقداد بعدما مات، فقال الزبير:

لا ألفينَّك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

راجع، الدينوري: المعارف، ط. ٢، بيروت ١٩٧٠. أما ابن الأثير فإنه يخبرنا في المجلد الثاني، صفحة (١٤٦) أن المقداد أوصى أن يصلي عليه الزبير، وعن ابن إسحق أن الذي صلّى عليه عثمان بن عوف، راجع: الهيثمي: مجمع الزوائد...

المصادر

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ من كتب الحديث، للرسول (ص).
٣ ـ السيرة النبوية، ابن هشام ـ المجلد الأول والثاني والثالث.
٤ ـ البلاذري، أنساب الأشراف.
٥ ـ تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، القسم، ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥.
٦ ـ تاريخ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، الجزء الأول والثاني.
٧ ـ تاريخ الكامل، ابن الأثير ـ الجزء الثاني.
٨ ـ المسند، الإمام أحمد بن حنبل ـ الجزء الأول.
٩ ـ محمد رسول الله، محمد رضا.
١٠ ـ مجلة الهلال، عدد أيلول ١٩٧٨.
١١ ـ منجد الأسماء، اليسوعي.
١٢ ـ دائرة المعارف الإسلامية، فئة من المستشرقين.
١٣ ـ لسان العرب، ابن منظور.
١٤ ـ المعرفة، الموسوعة العلمية المصورة، المجلد الخامس عشر.
١٥ ـ الذين هبطوا من السماء، أنيس منصور.
١٦ ـ البداية والنهاية، ابن كثير ـ الجزء الثالث والرابع.

١٧ ـ أسد الغابة، ابن الأثير ـ الجزء الرابع.
١٨ ـ حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي ـ المجلد الأول والثاني.
١٩ ـ الإصابة في التمييز بين الصحابة، ابن حجر العسقلاني ـ الجزء الثاني.
٢٠ ـ مجلة الفيصل، عددا أيلول وتشرين الثاني لعام ١٩٧٧.
٢١ ـ الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني ـ المجلد الثالث، والرابع عشر، والسادس عشر.
٢٢ ـ نور الأبصار، الشبلنجي الشافعي.
٢٣ ـ علي بن أبي طالب، عبد الكريم الخطيب.
٢٤ ـ غزوة بدر، عبد الحميد جودة السحار.
٢٥ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي ـ المجلد الثالث.
٢٦ ـ صفة الصفوة، ابن الجوزي ـ الجزء الأول.
٢٧ ـ صحيح البخاري، البخاري ـ الجزء الأول، والرابع، والخامس، والسادس.
٢٨ ـ يوم أحد، خليل هنداوي.
٢٩ ـ صحيح مسلم، مسلم ـ الجزء الأول، والسابع.
٣٠ ـ موطّأ مالك، الإمام مالك.
٣١ ـ حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني ـ المجلد الأول.
٣٢ ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد ـ المجلد الثالث.
٣٣ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي ـ الجزءان: السابع، والتاسع.
٣٤ ـ الأعلام، خير الدين الزركلي ـ الجزء الثامن.
٣٥ ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ـ الجزء العاشر.
٣٦ ـ الخطط المقريزية، المقريزي ـ المجلد الثاني.

٣٧ ـ العقد الفريد، ابن عبد ربه ـ الجزء الثالث والخامس.
٣٨ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي ـ الجزء الثالث بهامش الإصابة.
٣٩ ـ إسعاف الراغبين، الشيخ محمد الصبان بهامش نور الأبصار.
٤٠ ـ كناية الطالب، الكنجي الشافعي.
٤١ ـ الفضائل والمناقب، الإمام أحمد بن حنبل.
٤٢ ـ الإمام علي بن أبي طالب، عبد الفتاح عبد المقصود ـ الجزء الأول (المجموعة الكاملة).
٤٣ ـ اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي.
٤٤ ـ الأوائل، أبو هلال العسكري ـ الجزء الأول والثاني.
٤٥ ـ السنن الكبرى، البيهقي ـ الجزء التاسع
٤٦ ـ أصحاب بدر، الشيخ الغلامي.
٤٧ ـ مروج الذهب، المسعودي ـ الجزء الثاني.
٤٨ ـ تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي ـ الجزء الثاني.
٤٩ ـ تاريخ الخلفاء، السيوطي.
٥٠ ـ مختارات من المؤرخين، الدكتور سهيل زكّار.
٥١ ـ الذين عادوا إلى السماء، أنيس منصور.
٥٢ ـ سيد الأوس سعد بن معاذ، صابر محمود.
٥٣ ـ المعارف، ابن قتيبة الدينوري.
٥٤ ـ الطبقات، الأزدي ـ القسم الأول.
٥٥ ـ سفر التكوين، الإصحاح العاشر.
٥٦ ـ اليمين واليسار في الإسلام، أحمد عباس صالح.
٥٧ ـ أسواق العرب في الجاهلية، سعيد الأفغاني.
٥٨ ـ كتاب العلوم، بغدادي ورفاقه.
٥٩ ـ وسائل الشيعة، الحرُ العاملي ـ المجلد التاسع.

٦٠ ـ النظم الإسلامية، المستشرق الفرنسي، م. غود فروا، ترجمة الدكتورين: فيصل السامر وصالح الشماع، ١٩٦١.
٦١ ـ حرب الجمل: السيد محسن الأمين.
٦٢ ـ خطط الكوفة، ماسينيون.
٦٣ ـ إدارة العراق في صدر الإسلام، رمزية عبد الوهاب الخيرو.
٦٤ ـ قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، محمد تقي التستري.
٦٥ ـ ينابيع المودة، الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي ـ الحنفي.
٦٦ ـ كواكب الإسلام الإمام علي بن أبي طالب، الدكتور علي شلق.
٦٧ ـ الأزمنة والأمكنة، المرزوقي ـ الجزء الثاني.
٦٨ ـ الخصائص، النسائي.
٦٩ ـ جمع الجوامع، السيوطي ـ الجزء السادس.
٧٠ ـ عبقرية الإمام، عباس محمود العقاد.
٧١ ـ كنز العمال، الجزء السادس.

محتويات الكتاب

الفصل الثاني

الفصل الثالث

... إيمان وقوة، جهاد وترفع، تواضع وتسامح وخلود...

حقائق ساطعة تتجسد في شخصية المقداد بن الأسود الكندي، تلك الشخصية الفذة التي أشرقت مع شروق الإسلام على الدنيا، نورا وجمالا، وعطاءا سمحا...

حمل السيف مدافعا عن الحق الأعظم، وقضى حياته مجاهدا في سبيل الله الواحد الأحد...

امن برسالة محمد (ص) فكان من السابقين السبع... وخاض غمار الحروب، إلى جانب نبي الهدى، بعزم وثبات، فلقب «بفارس الرسول»، وكُتب له ولاخوته في الإيمان النصر الأكيد، في تغيير المفاهيم، وتبديل المعتقدات، وغسل عقول قبائل الجزيرة العربية في ذلك الزمان، من الكفر والجهل والوثنية، ورفعها إلى المستوى العقلاني المؤمن، والتفكير الانساني والروحاني المطلق...

وقد وُفق الكاتب في بحثه واستقصاءاته، وتصفيته ما كُتب من روايات متعددة حول شخصية المقداد وحياته..؛ مُعتمدا اعتمادا قاطعا على ما قاله الرسول (ص) في المقداد ـ الصحابي الجليل ـ مؤديا بذلك الأمانة التاريخية بصدق في الإيمان والعمل...

الناشر